حولية الكوفة

دورية سنوية، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد الخامس ـ شهر رمضان ـ ١٤٣٦ هـ / تموز ـ ٢٠١٥ م

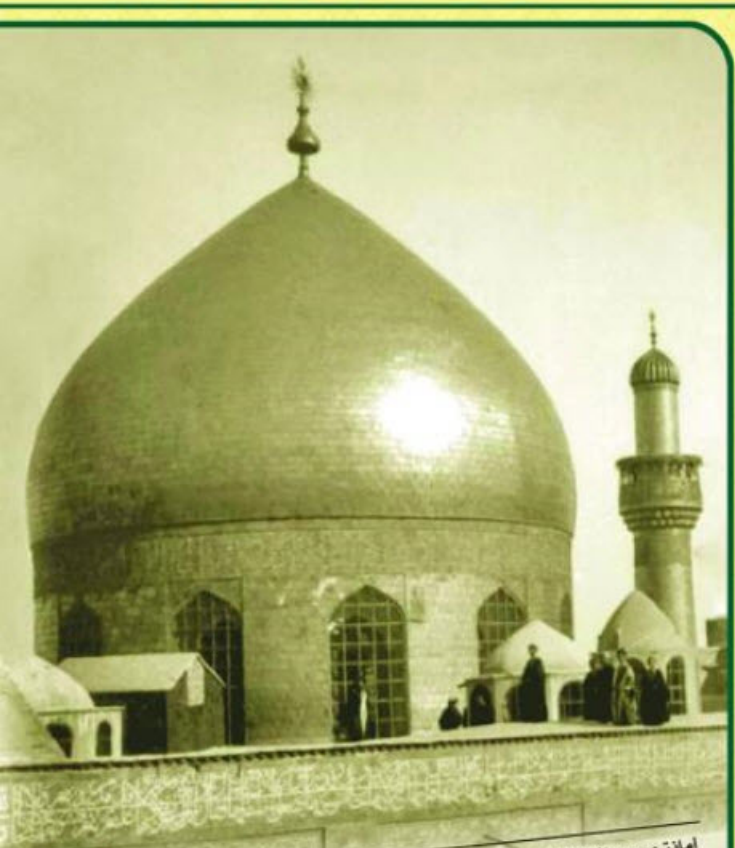

أمانة مسجد المعظم تحتفل بمناسبة مرور ١٤٠٠ عام على اختيار الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الكوفة عاصمة لحكومته المباركة عام ٣٦ للهجرة

٥

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

(٣)

كميل بن زياد النخعي

العلامة السيد علي بن الحسين الهاشمي الخطيب

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلق أجمعين، وفاطر السّماوات والأرضين، والصّلاة والسّلام على من انتجبه من بريته، سيد رسله «محمّد المصطفى» وعلى آله الأئمة المعصومين، سادات الأمّة، الّذين خصهم الله بآية التّطهير، فقال عزّ اسمه: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» واللّعنة المضاعفة على شانئهم ومبغضهم وجاحد فضلهم من الآن إلى قيام يوم الدّين.

المقدمة

من القبائل اليمانية الّتي حظت بشرف الإسلام فأسلمت عند طلوع فجره، قبيلة النّخع – بفتح النّون- النّخع قبيلة كميل بن زياد، والّتي دعا لها رسول الله (ﷺ) بالخير وذلك عندما وفد عليه أرطأة بن كعب أحد أعلام النّخع، وكان مع أرطأة يومذاك أوس بن نهيش بن يزيد.

وكانا من أجمل أهل زمانهما وانظفه، وقد دعاهما رسول الله (ﷺ) إلى الإسلام فأسلما، وأعجبه ما رأى منهما، وسألهما: هل خلفتما وراءكما مثلكما؟ قالا: يا رسول الله، قد خلفنا من قومنا سبعين، ما يشركونا في الأمر إذا كان، قال أرباب التّاريخ، وكتب (ﷺ) إلى أرطأة كتاباً وعقد له لواء، فشهد بذلك اللّواء يوم القادسية، حتّى إذا قتل أخذ اللّواء أخوه زيد فقتل، ثمّ أخذه قيس بن كعب، كما ذكر المؤرخون ذلك.

نعم دعا رسول الله (ﷺ) للنخع بقوله، اللّهم بارك في النّخع، فكانت قبيلة مباركة، حلّق رجال منها في صدر الإسلام إلى أوج الفضيلة والكرامة.

واشتهرت بجهادها المقدس بين يدي صاحب الرّسالة فأبلت وقتئذ بلاء حسناً، وراح المسلمون يذكرون دفاعهم عن الإسلام ويكبرونهم جيلاً بعد جيل.

ومن أولئك الأفذاذ الّذين اشتهروا بالفتوة في صدر الإسلام ذوي النّجدة والبطولة، والحنكة والمعرفة والرّأي والسّياسة، مالك بن الحارث الأشتر، الّذي دوى ذكره في جميع الأصقاع، وعرف ببطل الحروب ومسعرها.

كان مالك الأشتر يحارب أهل الشّام بعقيدة راسخة، وكما صلب الإيمان رابط الجأش مخلصاً في جهاده، وما كان يبالي لو أنّ الكرة الأرضية تصبح يوماً ما ساحة للقتال ويكون هو المثير لقتامها ليس إلا ذاباً عن العقيدة الإسلامية، وعن بطل المسلمين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حتّى كاد به معاوية فدس له السّم بشربة من عسل فكان حتفه فيها وقام علي (عليه السلام) وأبّن مالكاً، والشّجا ملؤ صدره، والدّموع تتساقط من مآقيه، قائلاً: إنّا لله وإنّا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين.

اللّهم إنّي احتسبه عندك فإنّ موته من مصائب الدّهر، ثمّ قال: رحم الله مالكاً، فقد كان وفى بعهده وقضى نحبه ولقى ربه مع أنا قد وطنا أنفسنا أن نصبر على كلّ مصيبة بعد مصابنا برسول الله (ﷺ) فإنّها من أعظم المصيبات، ثمّ قال: لله در مالك، وما مالك لو كان جبلاً لكان فنداً[1] ولو كان حجراً لكان صلداً[2]، أمّا والله ليهدن موتك عالماً وليفرحن عالماً، على مثل مالك فليبك البواكي، وهل موجود كمالك.

وعبد المدان الّذي وفد على النّبي (ﷺ) وقيل هو عبد الله بن المدان، الّذي قتل بسر بن أرطأة ابنه مالكاً عندما أرسله

(١) الفند: الجبل العظيم.

(٢) الصّلد: الصّلب الأملس.

معاوية إلى اليمن، وكان عبد الله اسمه أولاً عبد الحجر فسماه رسول الله (ﷺ) عبد الله.

وكميل بن زياد عليه الرّحمة الّذي كان يعد في طليعة الثّقات، ومن رجالات أهل الكوفة، صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام) وحامل سره، طالما كان علي (عليه السلام) يردفه على راحلته ويسره بأسرار لم يطلع عليها أحداً غيره.

كميل العبد الصّالح التّقي الورع، حافظ الدّعاء المشهور، المنسوب إليه – دعاء كميل- الّذي هو آية من آيات البلاغة[1].

كميل الوالي على هيت من قبل علي (عليه السلام) كان يرعى أهلها مدّة إقامته بها وكانت سيرته مرضية عندهم، وعندما استشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) انزوى كميل عن النّاس ومكث في قومه، حتّى إذا ما ثار عبد الرّحمن بن محمّد بن الأشعث على الحجاج الطّاغية، فكان في صفّ القراء والأبدال، وكان العضو الفعال في تلك الثّورة، حارب الحجاج بكلّ ما كانت له من قوّة ونشاط وقد حفزه دينه وتقشفه إلى حرب الحجاج، ولقد قيل في ذلك اليوم لسعيد بن جبير عليه الرّحمة، خرجت على الحجاج؟ قال: إنّي والله ما خرجت عليه حتّى كفر وعلى هذا حارب كميل الحجاج.

الحجاج الّذي كفّره المسلمون على أعماله من سفك الدّماء وهتك الحرمات ولقد كان يحدث عن نفسه أنّ أكبر لذاته سفك الدّماء، وقتل عباد الله الأخيار صبراً، وتنكيله ببعض الصّحابة وعيون التّابعين الأبرار، وأمّا أقواله فمنها قوله: العجب من هؤلاء الّذين يأتون مكّة. إنّما يطوفون حول أحجار ورمة بالية – يعني بيت الله الحرام وقبر الرّسول الأعظم- هلا طافوا حول قصر عبد الملك ابن مروان، فمثل هذه الأفعال الشّنيعة يشاهدها كميل وأصحابه ويسمعون أقواله وهناك رأوا بأنّ الإسلام يحتم عليهم أن يحاربوا طاغية بني أمية فثاروا عليه وحاربوه حتّى صرع من صرع منهم شهيداً، ورجع الآخرون مقهورين.

ودخل الحجاج الكوفة ظافراً، وراح يطارد القراء والأبدال، أمثال سعيد بن جبير، وكميل بن زياد وأضرابهما، فيظفر بهم ويصب عليهم سوط غضبه ويجرد عليهم سيف انتقامه، وكان يطلبهم أشد الطّلب ويتتبع آثارهم في كل جبل وسهل، ومن جملة من طلبه كميل بن زياد النّخعي، حتّى إذا مثل بين يديه، صار يكيل عليه التّهم والافتراءات الّتي هو برئ منها، ألا تراه يخاطبه بقوله: وإنّك قاتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وإنّك وإنّك.. وإنّك طلبت القصاص من عثمان ثمّ أخذ ينال من أبي السّبطين أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وكميل يثني على علي (عليه السلام) ويترحم عليه، وكانت الغاية من هذا كلّه إزهاق نفسه ليس إلا، ثمّ أمر بضرب عنق كميل، فقتل رضوان الله عليه وهو ابن سبعين سنة وقيل قد جاوز السّبعين، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ودفن في الثّوية حيث مرقده الآن، ومراقد بعض الصّحابة رضي الله عنهم.

وهنا ألفت نظر القارئ الكريم، إلى أنّي وفقت في العام الماضي إلى طبع كتاب سعيد بن جبير رحمه الله، ووزع على طالبيه، وعندما أطلع عليه العلامة الجليل أستاذي السّيد محمّد صادق آل بحر العلوم حفظه الله، أعجبه ذلك، ولفت نظري بل وأكد علي أن أؤلف كتاباً في كميل بن زياد رحمه الله، فأجبته إلى ما أمرني به، وهذا هو كتاب كميل، راجياً من أرباب الدّين وأعلام النّجف الأشرف أن يشجعوا النّاس إلى تجديد مرقده الشّريف، مرقد كميل بن زياد، الماثل إلى الانهدام والله ولي المحسنين.

٢٣ شعبان ١٣٨١هـ

علي الهاشمي الخطيب

«ولادته»

لم أعثر في مؤلف من مؤلفات المؤرخين، ولا في كتب الرّجال والمعاجم على عام ولادة -كميل بن زياد- مع كثرة البحث والتّنقيب في تلك المعاجم والأسفار، وكدت أن أقطع على عدم وجود أي ذكر لولادته، حتّى إذا ما ملكت كتاب الأعلام – والملك لله تعالى- للبحاثة الجليل والأستاذ الكبير خير الدّين الزّركلي، الّذي أشار إلى عام ولادته، فقد ذكره في المجلد السّادس من أعلامه من الطّبعة الثّانية.

ولما كان من ديدن الزّركلي أن يجعل أمام كل ترجمة ممن ترجم له رقماً يشير إلى ولادته، ورقماً آخر إلى وفاته، ويفصل بين الرّقمين خط فقد جعل أمام ترجمة كميل رقم ١٢ ثمّ عن يساره خط ورقم ٨٢ مشيراً في الرّقم الأوّل إلى عام ولادة كميل، وفي الرّقم الثّاني إلى سنة وفاته، وجل «ظني» أنّ الأستاذ الزّركي، عد سني عمره، وهي على ما ذكرها المؤرخون سبعون سنة، وسنة وفاته سنة اثنتين وثمانين للهجرة.

فكانت على الأكثر النّتيجة من ذلك أنّ عام ولادته يكون سنة اثنتي عشر من الهجرة، وهذا صحيح بناء على أنّه توفي في عام ٨٢ للهجرة وقد بلغ من العمر حين وفاته سبعين عاماً، غير أنّ صاحب الإصابة قد روى أنّ لكميل إدراكاً، ومعنى ذلك أنّه قد ولد قبل العام العاشر للهجرة وقال آخر أنّه أتى عليه مائة عام وقيل أقل من ذلك، والله أعلم.

(١) سوف يشرع بطبع شرح دعاء كميل بن زياد إنشاء الله تعالى. للمؤلف.

"نسبه"

هو كميل[1] بن زياد بن بهيل[2] بن هيثم[3] بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان بن سعد بن مالك بن النّخع بن عمرو بن وعلة بن خالد[4] بن مالك بن أدد.

"أعلام من النّخع والنّسبة إليها"

ذكر صاحب اللباب[5] قال: النّخعي بفتح النّون والخاء وبعدها عين مهملة، هذه النّسبة إلى النّخع، وهي قبيلة كبيرة من مذحج، واسم النّخع جسر[6] بن عمرو بن وعلة بن جلد بن مالك بن أدد، وقيل له النّخع لأنّه انتخع من قومه -أي بعد عنهم- نزل بيشة[7] ونزلوا في الإسلام الكوفة ينسب إليهم من العلماء الجم الغفير، منهم علقمة بن قيس بن يزيد بن عبد الله النّخعي صاحب ابن مسعود، روى عن ابن مسعود وهو أكبر أصحابه وعن علي وغيرهما، روى عنه النّاس.

وكان أشبههم هدياً وولاءً بابن مسعود وتوفي سنة ٦٢، والأسود بن يزيد بن قيس، وهو ابن أخي علقمة بن قيس، يروي عن ابن مسعود روى عنه الشّعبي، وإبراهيم النّخعي وغيرهما، وإبراهيم بن يزيد النخعي الفقيه المشهور وأمّه مليكة أخت الأسود بن يزيد، ومالك بن الحرث بن عبد يغوث المعروف بالأشتر النّخعي، أحد الفرسان المعروفين له المقامات المشهورة في فتح العراق وغيره وفي الجبل وصفين، وكان من أصحاب علي رضي الله عنه، ومات بالقلزم مسموماً سنة سبع وثلاثين.

وضع عليه معاوية من سمه في عسل، فلما بلغه خير موته، قال: إنّ لله جنوداً من عسل، والنّخع نزلوا الكوفة وانتشر ذكرهم، وكانوا قد وفدوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) -وهم آخر الوفود- في نصف المحرم سنة إحدى عشرة في مائتي رجل، فنزلوا دار الضّيافة، ثمّ جاؤوا رسول الله مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل، لما بعثه رسول الله إلى اليمن.

واشتركوا في وقعة صفين سنة٣٧[8]، وأصيب منهم جماعة، قال نصر بن مزاحم[9] ثمّ إنّ النّخع قاتلت قتالاً شديداً فأصيب منهم يومئذ بكر بن هوذة وحبان بن هوذة وشعيب بن نعيم من بني بكر النّخع، وربيعة بن مالك بن وهبيل، وسعير بن نعيم من بني بكر بن ربيعة، ومالك بن نهشل، وأبي بن قيس أخو علقمة بن قيس الفقيه، وقطعت رجل علقمة بن قيس فكان يقول: ما أحب أنّ رجلي أصح ما كانت، لما أرجو بها من حسن الثّواب من ربي، ولقد كنت أحب أن أبصر في نومي أخي وبعض إخواني، فرأيت أخي في النّوم فقلت له: يا أخي، ماذا قدمتم عليه؟ فقال: التقينا نحن والقوم فاحتججنا عند الله عزّ وجل فحججناهم، فما سررت بشيء مذ عقلت كسروري بتلك الرّؤيا.

وذكر القمي[10] قبيلة النّخع وعدد بعض أعلامها، فقال: النّخع قبيلة كبيرة من مذحج باليمن، واسم النّخع جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد، وإنّما قيل له النّخع لأنّه انتخع من قومه أي بعد عنهم، وخرج منهم خلق كثير، وممن ينسب إليه إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك بن النّخع الفقيه الكوفي التّابعي أحد الأئمّة المشاهير عند العامة، قال ابن قتيبة: في المعارف في وصفه يكنى أبا عمران وحمل عنه العلم وهو ابن ثماني عشرة سنة، وكان مزاحاً، قيل له أنّ سعيد بن جبير يقول كذا، قال: قل له يسلك في وادي النّوكي، وقيل لسعيد إنّ إبراهيم يقول كذا، قال: قل له يقعد في ماء بارد انتهى، وفي مروج الذّهب وحبس الحجاج إبراهيم التّميمي بواسط ومات في حبس الحجاج وإنّما كان الحجاج طلب إبراهيم النّخعي فنجا، ووقع إبراهيم التّميمي.

وحكي عن الأعمش، قال: قلت لإبراهيم النّخعي أين كنت حين طلبك الحجاج؟ فقال: بحيث يقول الشّاعر:

عوى الذّئب فاستأنست للذئب إذ عوى

وصوت إنسان فكدت أطير

أقول: عده الشّيخ من أصحاب أمير المؤمنين والسّجاد (عليهما السلام)، ولكن نسب العلامة المجلسي إليه النّصب، وقال: إنّه خرج مع ابن الأشعث في جيش عبيد الله بن زياد إلى خراسان، وكان يقول: لا خير إلا في النّبيذ الصّلب انتهى، قلت: قد تقدم في الشّعبي، كلمة منه ينافي ما نسب إليه، نعم، نقل عنه أمين الإسلام الطّبرسي في مجمع البيان، في سورة التّوبة، أنّه قال: إنّ أوّل من أسلم بعد خديجة رضي الله تعالى عنها أبو بكر، قال ابن قتيبة: مات سنة ٩٦ وهو ابن ست وأربعين سنة.

قال أبو عون: كنت في جنازة إبراهيم فما كان فيه إلا سبعة أنفس وصلّى عليه عبد الرّحمن بن الأسود بن يزيد وهو ابن خاله.

---

(١) كميل، بضم الكاف وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحت بعدها اللام.
(٢) منهم من يذكره نهيك.
(٣) ذكره ابن كثير، ابن خيثم النّخعي الكوفي.
(٤) ذكره صاحب اللباب، ابن جلد.
(٥) انظر ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب ج٢ ص٢٢٠.
(٦) بفتح الجيم، وكما في التّاج والإنباه تصحف فيه إلى جبير.
(٧) قال ياقوت الحموي، بيشة، اسم قرية غناء في واد كثير الأهل من بلاد اليمن، وبين بيشة وتبالة أربعة وعشرون ميلاً.
(٨) انظر رضا كحالة، معجم قبائل العرب ج٣ ص١١٧٦.
(٩) انظر المنقري نصر بن مزاحم صفين، ج٤ ص٣٢٣.
(١٠) انظر الشّيخ عبّاس القمي، الكنى والألقاب ج٣ ص٢٠٣.

وممن ينسب إليه النّخع الأشتر النّخعي رضوان الله عليه، ومنهم كميل بن زياد النّخعي، صاحب الدّعاء المشهور، كان من أعاظم خواص أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصحاب سره، قال الذّهبي في ميزان الاعتدال: قال ابن حبان: كان من المفرطين في علي (عليه السلام) ممن روى عنه المعضلات، وعن تقريب ابن حجر أنّه ثقة رمي بالتّشيع من الثّانية -أي من الطّبقة الثّانية- مات سنة ٨٣، ومنهم علقمة بن قيس بن عبد الله النّخعي أبو شبل، كان من أولياء آل محمّد (عليهم السلام) وعده الشّهرستاني وغيره من رجال الشّيعة.

وكان علقمة وأخوه أبَي من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وشهدا معه صفين واستشهد أبي، وكان يقال له أبَي الصّلاة، لكثرة صلاته، أمّا علقمة فقد خضب سيفه من دماء الفئة الباغية وعرجت رجله، فكان من المجاهدين في سبيل الله ولم يزل عدواً لمعاوية حتّى مات، قيل عدالته وجلالته عند أهل السّنة مع علمهم بتشيعه من المسلمات، وقد احتج به أصحاب الصّحاح السّتة وغيرهم مات سنة ٦٢ بالكوفة.

ومنهم أبو أرطأة، حجاج بن أرطأة النّخعي الكوفي أحد العلماء بالحديث والحفاظ له، سمع عطا وجماعة من بعده، وروى عنه سفيان الثّوري وشعبة بن الحجاج وابن المبارك وغيرهم وكان مع المنصور في وقت بناء مدينته، ويقال أنّه ممن تولى خططها ونصب قبلة جامعها، قال الخطيب وكان شريفاً سرياً وكان في أصحاب أبي جعفر فضمه إليه المهدي، فلم يزل معه حتّى توفي بالرّي، والمهدي بها يومئذ في خلافة أبي جعفر، وكان ضعيفاً في الحديث، وروى عن سفيان الثّوري، قال: ما رأيت أحفظ من حجاج بن أرطأة، وذكر الخطيب أنّه كان فقيهاً وكان أحد مفتي الكوفة وولي قضاء البصرة، وكان جائز الحديث إلا أنّه صاحب إرسال، وكان يقع في أبي حنيفة ويقول إنّ أبا حنيفة لا يعقل إلى غير ذلك، وممن ينسب إلى النّخع شريك بن عبد الله بن سنان بن أنس النّخعي الكوفي.

ذكره ابن قتيبة والذّهبي في رجال الشّيعة، وكان ممن روى النّص على أمير المؤمنين (عليه السلام) كما في الميزان للذهبي، ومن تتبع سيرته علم أنّه كان يوالي أهل البيت (عليهم السلام) وقد روى عن أوليائهم علماً جماً، قال ابنه عبد الرّحمن: كان عند أبي عشرة آلاف مسألة عن جابر الجعفي وعشرة آلاف غرائب، وقال عبد الله بن المبارك شريك أعلم بحديث الكوفيين من سفيان، وكان عدواً لأعداء علي (عليه السلام) سيء القول فيهم ومع ذلك وصفه الذّهبي بالحافظ الصّادق أحد الأئمّة، ونقل عن ابن معين القول بأنّه صدوق ثقة احتج به مسلم وأرباب السّنن الأربعة، قال الذّهبي: قد كان شريك من أوعية العلم حمل عنه إسحق الأزرق تسعة آلاف حديث، انتهى، ولد بخراسان أو ببخارى سنة ٩٥ ومات بالكوفة مستهل ذي القعدة سنة ١٧٧ أو سنة ١٧٨هـ.

وذكر ابن حزم في أنسابه[1].

ولد النّخع بن عامر بن علة، مالك وعوف، وهو المشر، فمن بطونهم صهبان ووهبيل، وجسر، وجذيمة، وقيس، وحارثة، وبنو سعد بن مالك بن النّخع، وبطون غير هؤلاء كثيرة منهم عمرو بن زرارة بن قيس بن الحارث بن صداء بن الحارث بن عمرو بن جشم بن كعب بن قيس بن سعد بن مالك بن النّخع، أوّل من خلع عثمان بالكوفة، ولأبيه زرارة، وفدة على رسول الله ومنهم: إبراهيم بن الأشتر، واسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة بن ربيعة بن شراحيل بن كعب بن سلامان بن عامر بن حارثة بن سعد بن مالك بن النّخع، وفد على رسول الله، فعقد له لواء شهد به يوم القادسية، فقتل فأخذه أخوه دريد فقتل، وابن عمّه الحجاج بن أرطأة بن ثور بن هبيرة بن شرحيل بن كعب بن سلامان، محدث ضعيف، ولي القضاء، والفقيه إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيع بن ذهل بن حارثة بن سعد بن مالك بن النّخع، وأمّه مليكة بنت يزيد بن قيس، أخت الأسود وعبد الرّحمن، وهي بنت أخي علقمة، وسنان بن أنس بن عمرو بن حي بن حارث بن غالب بن مالك بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النّخع، قاتل الحسين، والقاضي شريك بن عبد الله بن أبي شريك، واسمه الحارث بن أوس بن الحارث بن الأذهل بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النّخع، والقاضي حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن عمرو بن الحارث بن ثعلبة بن عمر بن ربيعة بن عامر بن جشم بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النّخع، وابنه عمرو بن حفص محدث ابن محدث، ثقة ابن ثقة، وكميل بن زياد بن نهيك بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان بن سعد بن مالك بن النّخع، كان من شيعة علي قتله الحجاج صبراً وابن عمّ أبيه هدم بن عوف بن هيثم، عقد له عمر بن الخطاب على النّخع بالكوفة.

«ولايته على هيت»

كان كميل بن زياد رحمه الله، من خلص أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وصاحب سره، وتلميذه المبرز من بين أصحابه، وكان ثبتاً، شجاعاً، عالماً، كريماً، عارفاً اختاره أمير المؤمنين (عليه السلام) من جملة من اختارهم للولاية، فجعله والياً على هيت، ومعلوم ما لهيت في ذلك الحين من الأهمية الكبرى والخطر، لمجاورتها البرية الشّاسعة، الّتي تفصل بين العراق وبين الشّام أوّلاً، ولقربها من أعمال معاوية ثانياً، كقرقيسيا وغيرها من البلدان

(١) انظر ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب ص٣٨٩.

الّتي كانت ولا تزال بعضها على ضفة الفرات، والّتي خضعت لحكم معاوية حينذاك على كلا الحالتين خوفاً أو طمعاً.

أضف إلى أنّ العرب الرّحالة الّتي في تلك البادية وتترددها على هيت لتتمون منها، وكما كانت تتردد على الأنبار وعلى هيت وغيرها من البلدان العراقية المطيعة لحكم ابن عمّ الرّسول بعض القوافل للميرة منها، وخوفاً من دسائس ابن هند وحركات ابن العاص الجهنمية، كلّ هذه الأمور جعلت علياً يختار كميلاً والياً على هيت، لعلمه (ﷺ) بحزمه وسياسته وحنكته حيث هو صفوة النّخع وبطل من أبطالها.

«هيت»

هيت بالكسر وآخره تاء مثناة، هكذا ذكر ياقوت في معجمه[1] قال ابن السّكيت سميت هيت لأنّها في هوة من الأرض انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وقال رؤبة: في ظلمات تحتهن هيت.

أي هوة من الأرض، وقال أبو بكر سميت هيت لأنّها في هوة من الأرض، والأصل فيها هوت، فصارت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، وهذا مذهب أهل اللغة والنّحو.

وذكر أهل الأثر أنّها سميت باسم بانيها، وهو هيت بن السّندي ويقال البلندي بن مالك بن دغر بن بويب بن عنقا بن مدين بن إبراهيم (ﷺ) وهي بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة وهي مجاورة للبرية طولها من جهة المغرب تسع وتسعون درجة وعرضها اثنتان وثلاثون درجة ونصف وربع وهي في الإقليم الثّالث أنفذ إليها سعد جيشاً في سنة ١٦ وامتد منه فواقع أهل قرقيسيا، فقال عمر بن مالك الزّهري.

تطاولت أيّامي بهيت فلم أحم ... وسرت إلى قرقيسيا سير حازم
فجئتهم في غرة فاحتويتها ... على عنن من أهلها بالصّوارم

وبها قبر عبد الله بن المبارك رحمه الله، وفيها يقول عبد الله بن خليفة السّنبسي شاعر سيف الدّولة صدقة بن مزيد:

فمن لي بهيت وأبياتها ... فانظر رستاقها والقصورا
فيا حبذا تيك من بلدة ... ومنبتها الرّوض غضا نضيرا
وبرد ثراها إذا قابلت ... رياح السّمائم فيها الهجيرا
وإنّي وإن كنت ذا نعمة ... أجاور بالنّيل بحراً غزيرا
أحن إليها على نأيها ... واصرف عن ذاك قلباً ذكورا
حنين نواعيرها في الدّجى ... إذا قابلت بالضّجيج السّكورا
ولو أنّ كابي بأعوادها ... منوطاً لأعجزها أن تدورا
بلاد نشأت بها ساحباً ... ذيول الخلاعة طفلاً غريرا

وقد نسب إليها قوم من أهل العلم منهم أبو بكر أحمد بن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن أيوب الهيتي، والحسن بن عرفة، وأحمد بن منصور الرّمادي وغيرهم[2] وموقعها اليوم في لواء الرّمادي، من نواحيه وعليها ٥٧ قرية، والنّسبة إليها هيتي.

«كميل القائد»

كان معاوية بن أبي سفيان قد وجه سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل وأمره أن يأتي هيت فيقطعها ثمّ يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها، وذلك سنة ٣٩ فأتى هيت فلم يجد بها أحداً، ثمّ أتى الأنبار وفيها مسلحة لعلي (ﷺ) تكون خمسمائة رجل، وقد تفرقوا ولم يبق منهم إلا مائتا رجل.

وكان سبب تفرقهم أنّه كان عليهم كميل بن زياد، فبلغه أنّ قوماً بقرقيسيا يريدون الغارة على هيت، فسار إليهم بغير أمر علي (ﷺ) فأتى أصحاب سفيان وكميل غائب عنها، فأغضب ذلك علياً على كميل فكتب إليه ينكر ذلك عليه، وطمع سفيان في أصحاب علي (ﷺ) لقلتهم فقاتلهم فصبر أصحاب علي (ﷺ) ثمّ قتل صاحبهم وهو أشرف بن حسان البكري وثلاثون رجلاً واحتملوا ما في الأنبار من أموال أهلها ورجعوا إلى معاوية، وبلغ الخبر علياً، فأرسل في طلبهم فلم يدركوهم.

وبعدها سير معاوية عبد الرّحمن بن قباث بن أشيم إلى بلاد الجزيرة وفيها شبيب بن عامر جد الكرماني الّذي كان بخراسان وكان شبيب بنصيبين، فكتب إلى كميل بن زياد وهو بهيت يعلمه خبرهم، فسار كميل إليه نجدة له في ستمائة فارس فأدركوا عبد الرّحمن ومعه معن بن يزيد السّلمي فقاتلهما كميل وهزمهما فغلب على عسكرهما وأكثر القتل في أهل الشّام وأمر أن لا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح، وقتل من أصحاب كميل رجلان، وكتب إلى علي بالفتح فجزاه خيراً وأجابه جواباً حسناً ورضي عنه وكان ساخطاً عليه لما تقدم ذكره وأقبل شبيب بن عامر من نصيبين فرأى كميلاً قد أوقع بالقوم فهناه بالظّفر واتبع الشّاميين فلم يلحقهم فعبر الفرات وبث خيله فأغارت على أهل الشّام حتّى بلغ بعلبك فوجه إليه معاوية حبيب بن مسلمة فلم يدركه ورجع شبيب فأغار على نواحي الرّقة، فلم يدع للعثمانية بها ماشية إلا استاقها ولا خيلاً ولا سلاحاً إلا أخذه وعاد إلى نصيبين وكتب إلى علي فكتب إليه عليّ ينهاه عن أخذ أموال النّاس إلا الخيل والسّلاح الّذي يقاتلون به وقال (ﷺ) رحم الله شبيباً لقد أبعد الغارة وعجل الانتصار، هذا ما ذكر ابن الأثير ج٣ منه.

(١) انظر ياقوت الحموي معجم البلدان، ج٨ ص٤٨٦.

(٢) اللباب لابن الأثير ج٣ ص٢٩٧.

«كتاب علي (عليه السلام) إليه»

قال الشّريف الرّضي: ومن كتاب له (عليه السلام) إلى كميل بن زياد النّخعي وهو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالباً الغارة.

وهذا نص كتابه (عليه السلام):

أمّا بعد: فإنّ تضييع المرء ما ولي، وتكلّفه ما كفي لعجز حاضر ورأي متبر وإنّ تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك[1]، الّتي ولياك ليس بها من يمنعها ولا يرد الجيش عنها، لرأي شعاع، فقد صرت جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب، ولا ساد لثغرة ولا كاسر [لعدو] شوكة، ولا مغن عن أهل مصره ولا مجز عن أمير.

وقال ابن أبي الحديد في وصف كميل، وهو كميل بن زياد بن بهيل بن هيثم بن سعد بن مالك بن حرب من صحابة علي (عليه السلام) وشيعته وخاصته، وقتله الحجاج على المذهب فيمن قتل من الشّيعة، وكان كميل عامل علي (عليه السلام) على هيت، وكان ضعيفاً تمر عليه سرايا معاوية تنهب أطراف العراق فلا يردها ويحاول أن يجبر ما عنده من الضّعف بأن يغير على أطراف أعمال معاوية مثل قرقيسيا وما يجري مجراها من الفرات والّتي على ضفته، فأنكر أمير المؤمنين (عليه السلام) ذلك من فعله، وقال: إنّ من العجز الحاضر أن يهمل العامل ما وليه ويتكلف ما ليس من تكليفه.

«توضيح»

ما ولّى على صيغة المعلوم، المجرد ولّيت الأمر كرضيت ولاية إذا توليته واستبددت به، وفي بعض النّسخ على صيغة المجهول من التّفعيل من قولهم وليته البلد إذا جعلته والياً عليه و-التكلف- التّجشم- والتّكلف التّعرض لما لا يعنيه، و-كفاه مؤنة أي قام بأمره، متبر- قال في النّهاية أي مهلك، يقال: تبرت تتبيراً أي كسره وأهلكه والتّبار الهلاك، وقال: التّعاطي التّناول والجرأة على الشّيء من عطا الشّيء يعطوه إذا أخذه وتناوله، وقرقيسيا في النّسخ بالفتح مقصورة وفي القاموس قرقيسياء بالكسر ويقصر بلد على الفرات، ويقال شعاع أي متفرق، وشدة المنكب كناية عن القوة والحمية وهيبة الجانب عن شدة البطش، والثّغرة الثّلمة، ولا مجز عن أميره أي كاف ومغن، والأصل مجزأ بالهمزة فخفف.

(١) المسالح جمع مسلحة، وهي المواضع الّتي يقام فيها طائفة من الجند لحمايتها.

«إطراء أرباب التّاريخ له»

كميل بن زياد، قدم دمشق زمن عثمان، وشهد صفين مع علي (عليه السلام)، وكان شريفاً مطاعاً ثقة عابداً على تشيعه قليل الحديث، قتله الحجاج.

«الذّهبي»

* كميل بن زياد، شهد مع علي صفين، وكان شجاعاً فاتكاً وزاهداً عابداً، عاش مائة سنة[2] وقد روى عن كميل جماعة من التّابعين، وله الأثر المشهور عن علي بن أبي طالب، الّذي أوّله: «القلوب أوعية فخيرها أوعاها»، وهو طويل، وقد رواه جماعة من الحفاظ الثّقاة، وفيه مواعظ وكلام حسن رضي الله عن قائله.

«ابن كثير الدّمشقي»

* كميل بن زياد، كان رجلاً ركيناً، وكان خصيصاً بأمير المؤمنين (عليه السلام).

«ابن الأثير»

* كميل بن زياد النّخعي، صاحب علي رضي الله عنه، وكان شريفاً مطاعاً شيعياً متعبداً.

«الحنبلي عبد الحي»

* كميل بن زياد بن نهيك، ويقال ابن عبد الله النّخعي التّابعي الشّهير، له إدراك.

«ابن حجر صاحب الإصابة»

* كميل بن زياد، شهد مع علي صفين، وكان شريفاً مطاعاً في قومه، فلما قدم الحجاج بن يوسف الكوفة دعا به فقتله.

«ابن سعد صاحب الطّبقات»

* كميل بن زياد، إنّه ثقة رمي بالتّشيع من الثّانية -أي الطّبقة الثّانية- مات سنة ٨٣.

«ابن حجر الشّافعي المكي»

* كميل مصغراً بن زياد النّخعي الكوفي، عن علي وشهد معه صفين، وعنه عبد الرّحمن بن جندب وثقه ابن سعد.

«تفاريق الخزرجي»

* كان كميل بن زياد رحمه الله تلميذ علي (عليه السلام).

«السّيد حيدر الآملي»

* كميل بن زياد، من أصحاب علي (عليه السلام)، وشيعته وخاصته وقتله الحجاج على المذهب فيمن قتل من الشّيعة.

«ابن أبي الحديد»

* كميل بن زياد النّخعي، صاحب علي رضي الله عنه، روى عنه عبّاس بن ذريح، وعبد الرّحمن بن زياد، قال ابن حيان: كان من المفرطين في علي، ممن يروي عنه المعضلات،

(٢) أحسب أنّ هذا قول شاذ انفرد به ابن كثير في البداية والنّهاية.

منكر الحديث جداً تتقى روايته، ولا يحتج به ووثقه ابن سعد وابن معين.

«الذّهبي صاحب الميزان»

* كميل بن زياد النّخعي، صاحب الدّعاء المشهور، كان من أعاظم خواص أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصحاب سره.

«القمي»

* كميل بن زياد بن نهيك النّخعي اليماني، المنسوب إليه الدّعاء المشهور الخضري المرتضوي، كان من كبار أصحاب مولانا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وولده السّبط المجتبى الحسن الزّكي عليهما صلوات الله الملك الغني ومن أجلاء علماء وقته، وعقلاء زمانه، ونساك عصره، وفضلاء أوانه.

«صاحب الرّوضات»

* كميل بن زياد قدّس سرّه، كان صاحب أمير المؤمنين وحقائقه ومكاشفته بلا واسطة، فلا حاجة إلى شرح حاله فهو كامل مكمل، وسلسلة خرقتنا وفتوتنا تتصل به وتستند إليه.

«السّيد محمّد نور بخش»

* كميل، وهو المنسوب إليه الدّعاء المشهور، وهو من أعاظم أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن أصحاب سره وكان عامله على هيت، قتله الحجاج، وكان أخبره (عليه السلام) بذلك.

«تعليقات البهبهاني»

* كميل بن زياد بن نهيك النّخعي، تابعي ثقة من أصحاب علي بن أبي طالب، كان شريفاً مطاعاً في قومه، شهد صفين مع علي، وسكن الكوفة، وروى الحديث، قتله الحجاج صبراً.

«خير الدّين الزّركلي»

* كميل بن زياد، كان من رؤساء الشّيعة.

«ابن عمار»

* وفي الكوفة من العباد أويس، وعمرو بن عبسه، ويزيد بن معاوية النّخعي، والرّبيع بن خيثم، وهمام بن الحرث، ومعضد الشّيباني، وجندب بن عبد الله، وكميل بن زياد.

«المدائني»

* كميل بن زياد، كان ثقة، قليل الحديث، وقال إسحاق بن منصور: عن ابن معين ثقة، وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة، وقال ابن عمار: رافضي وهو ثقة من أصحاب علي، وقال: في موضع آخر كان من رؤساء الشّيعة، وذكره ابن حبان في الثّقاة، وذكره المدائني في عباد أهل الكوفة.

«العسقلاني»

* كميل بن زياد، مصغراً، جاء في الحديث وهو من أعظم أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصحاب سره، وكان عامله على هيت، قتله الحجاج، وكان أخبره (عليه السلام) بذلك.

«فخر الدّين الطّريحي»

* كميل بن زياد بن نهيك الحنفي ثقة، رمي بالتّشيع من الثّالثة، مات سنة اثنتين وثمانين[1].

«أحمد العسقلاني»

* ذكر لويس ماسيون في خطط الكوفة، قبر كميل، وعلق على خططه الأستاذ الكبير، تقي المصعبي، فقال: كميل كان من أخص أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) تلميذه وخريجه، وقد روى الحديث عنه، وعن عبد الله، بن مسعود، وروى عنه أبو إسحاق السّبيعي، والعبّاس بن ذريح وعبد الله بن يزيد الصّهباني، وعبد الرّحمن بن عابس، والأعمش وغيرهم، وكان كميل يعد من كبار علماء عصره ومن الحكماء المعدودين.

يعتبره الفلاسفة في عداد عظمائهم، وتعتبره المتصوفة من مشايخهم، كان عابداً زاهداً شريفاً في قومه مطاعاً، وهو من فرسان العراق المشهورين وشجعانهم الّذين لا يشق لهم غبار.

«المصعبي»

* وذكر شيخنا المامقاني (رحمه الله) في تنقيحه، قال: عده الشّيخ (رحمه الله) في رجاله، تارة من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخرى من أصحاب الحسن (عليه السلام)، وعده البرقي في رجاله من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) من اليمن، وكذا في الخلاصة للعلامة الحلي (رحمه الله) وفي رجال ابن داود يعد نسبته إلى رجال الشّيخ (رحمه الله) عده من أصحاب علي والحسن، وإنّه من خواصهما، قال شيخنا البهائي في أربعينه، والعجب من صاحب الوجيزة، أنّه قال فيه أي كميل مجهول أو ممدوح، قلت إنّ ما نقله عن الوجيزة موجود فيها وهو من أغرب الغرائب، فإنّ عدالة كميل بن زياد مما تتحدث به المخدرات في حجالهن، واعترف بذلك الموالف والمخالف.

«المامقاني»

«عمن روى»

قال ابن حجر في الإصابة[2]، روى عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم، وقال ابن سعد في طبقاته[3] روى عن عثمان وعلي وعبد الله.

وقال الذّهبي حدث عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة[4] ومثله ذكر أبو الفداء في البداية والنّهاية[5] والعسقلاني، في تهذيب التّهذيب[6].

---

(١) لا أدري من أين جاء بهذا اللقب الحنفي، وقوله أيضاً رمي بالتّشيع، وهو من الثّانية لا من الثّالثة، كما أنّه من وجوه الشّيعة وأعلامها.

(٢) انظر ابن حجر الإصابة ج٣ ص٣١٨.

(٣) انظر ابن سعد الطّبقات الكبرى ج٦ ص١٧٩.

(٤) انظر الذّهبي محمّد بن أحمد ج٣ ص٢٩٣.

(٥) انظر أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدّمشقي ج٩ ص٤٦.

(٦) انظر العسقلاني، تهذيب التّهذيب، ج٨ ص٤٤٨.

«الرّاوون عنه»

ذكر صاحب تهذيب التّهذيب روى عنه أبو إسحق السّبيعي، والعبّاس بن ذريح، وعبد الله بن يزيد الصّهباني، وعبد الرّحمن بن عابس، والأعمش وغيرهم[1].

وقال الذّهبي في ميزانه[2]: روى عنه عبّاس بن ذريح وعبد الرّحمن بن زياد.

وفي الإصابة[3] روى عنه عبد الرّحمن بن عابس وأبو إسحق السّبيعي والأعمش وغيرهم.

«حديثه»

عن أبي إسحق عن كميل بن زياد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (ﷺ) ألا أدلّك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى، قال: [لا حول ولا قوة إلا بالله ولا منجى من الله إلا إليه][4].

«كميل من الثّقات»

قال أرباب التّاريخ[5]: يروى أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لكاتبه: -وهو عبيد الله بن أبي رافع- أدخل علي عشرة من الثّقات، فقال: عبيد الله سمهم لي يا أمير المؤمنين، فسمى جمعاً من أصحابه الثّقات، أحدهم كميل بن زياد رحمه الله.

«روايته للدعاء المنسوب له»

ذكر السّيد ابن طاووس في الإقبال: ما رويناه بإسنادنا إلى جدي أبي جعفر الطّوسي رضي الله عنه، قال: روي أنّ كميل بن زياد النّخعي رأى أمير المؤمنين (عليه السلام) ساجداً يدعو بهذا الدّعاء في ليلة النّصف من شعبان.

قال السّيد ابن طاووس: أقول ووجدت في رواية أخرى ما هذا لفظها، قال كميل بن زياد: كنت جالساً مع مولاي أمير المؤمنين (عليه السلام) في مسجد البصرة[6] ومعه جماعة من أصحابه، فقال بعضهم ما معنى قول الله عزّ وجل ﴿**فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾ قال (عليه السلام): ليلة النّصف من شعبان، والّذي نفس علي بيده أنّه ما من عبد إلا وجميع ما يجري عليه من خير وشر مقسوم له في ليلة النّصف من شعبان إلى آخر السّنة في مثل تلك الليلة المقبلة وما من عبد يحييها ويدعو بدعاء الخضر (عليه السلام) إلا أجيب له: فلما انصرف طرقته ليلاً، فقال (عليه السلام) ما جاء بك يا كميل؟ قلت: يا أمير المؤمنين (عليه السلام) دعاء الخضر (عليه السلام) فقال اجلس يا كميل: إذا حفظت هذا الدّعاء فادع به كلّ ليلة جمعة، أو في الشّهر مرة، أو في السّنة مرة، أو في عمرك مرة، تكف وتنصر وترزق ولن تعدم المغفرة، يا كميل أوجب لك طول الصّحبة لنا أن نجود لك بما سألت، ثمّ قال: اكتب، اللّهم إنّي أسألك برحمتك الّتي وسعت كلّ شيء، إلى آخر الدّعاء، وقد توفقت والحمد لله لشرح هذا الدّعاء العظيم، وسوف يمثل للطبع إن شاء الله بالقريب العاجل.

أخبار علي (عليه السلام) له عن المغيبات

ذكر صاحب إرشاد القلوب، قال: خرج أمير المؤمنين (عليه السلام) ذات ليلة من مسجد الكوفة متوجهاً إلى داره وقد مضى ربع من الليل ومعه كميل بن زياد (رضي الله عنه) وكان من خيار شيعته ومحبيه فوصل في الطّريق إلى باب رجل يتلو القرآن في ذلك الوقت ويقرأ قوله تعالى ﴿**أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَقائِماً**﴾[7] الخ بصوت شجي حزين، فاستحسن كميل ذلك في باطنه وأعجبه حال الرّجل من غير أن يقول شيئاً، فالتفت صلوات الله عليه إليه، وقال: يا كميل لا يعجبك طنطنة الرّجل أنّه من أهل النّار سأنبئك فيما بعد فتحير كميل لمكاشفته له على ما في باطنه ولشهادته بدخول النّار مع كونه في هذا الأمر وتلك الحالة الحسنة، ومضت مدة متطاولة إلى أن آل أمر الخوارج إلى ما آل وقاتلهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكانوا يحفظون القرآن كما أنزل فالتفت أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى كميل وهو واقف بين يديه والسّيف في يده يقطر دماً ورؤوس أولئك الكفرة الفجرة محلقة على الأرض فوضع رأس السّيف على

---

(١) انظر العقلاني، تهذيب التّهذيب، ج٨ ص٤٤٨.

(٢) انظر محمّد بن أحمد الذّهبي، ميزان الاعتدال ج٢ ص٣٥٨.

(٣) انظر ابن حجر، الإصابة ج٣ ص٣١٨.

(٤) انظر الذّهبي محمّد بن أحمد بن عثمان تاريخ الإسلام ج٣ ص٢٩٣.

(٥) انظر الشّيخ عبد الله المامقاني، تنقيح المقال، ج٢ رقم المترجم له ٩٩٣٨.

(٦) إنّ هذا المسجد بني في عهد الخليفة الثّاني عندما فتح المسلمون العراق، وكان أوّلاً من القصب ثمّ شيد بالحجارة والكلس، وهو اليوم البقية الباقية من آثار البصرة القديمة ماثل للعيان، وقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يصلي فيه، عند دخوله البصرة، وكان في أيامه عامراً بالمصلين والعباد والمتهجدين، وقد ذكره (عليه السلام) في خطبته يوماً، فقال عند ذكره للبصرة، «ليأتين عليها -أي البصرة- يوم لا يرى منها إلا شرافات جامعها كجؤجؤ السّفينة في لجة بحر» صدق (عليه السلام) فإنّ الّذي يخرج من البصرة الحاضرة اليوم متجهاً إلى بلدة «الزّبير» يشاهد بقايا هذا المسجد العظيم في كبد البرية يلوح له كجؤجؤ السّفينة في لجة البحر، وهذا الكلام من مغيباته صلوات الله عليه، وله في نهج البلاغة نظير هذا الكلام كثير، ولقد شاهدت الجامع مراراً والسّيارات تخترقه من وسطه والمارة تستطرق عليه بدوابها ولن تعرف له أي حرمة أضف إلى أنّه أثر إسلامي، فالواجب على المسلمين إذن الاعتناء به واحترامه لا أن يهمل ويترك كما يرى اليوم، ويكون للمارة محجة تسلكه، ولست أدري على من تقع هذه المسؤولية أعلى الحكومات البائدة أم على الرّعية أم على مديرية الأوقاف العامة، أم على مديرية الآثار، والحق أنّ هذه المسؤولية تقع على العراقيين عامة وعلى أهالي لواء البصرة الكرام خاصة.

(٧) سورة الزّمر.

رأس من تلك الرّؤوس، وقال يا كميل أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً الخ..

أي هو ذلك الشّخص الّذي كان يقرأ القرآن في تلك الليلة فأعجبك حاله.

فقبل كميل قدميه واستغفر الله تعالى ولا غرو إذا ظهرت مثل هذه الفضائل والأخبار بالمغيبات من بطل المسلمين ويعسوب الدّين علي (عليه السلام) فإنّ هذا العلم هو من العلم الّذي علمه إيّاه ابن عمّه سيد الرّسل وخاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) ولقد صرح به مراراً على رؤوس الأشهاد بمرأى ومسمع من جلة الصّحابة، قوله (عليه السلام): علمني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألف باب من العلم يفتح لي من كلّ باب ألف باب، كما أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) شهد له بأنّه أعلم الصّحابة، إذ قال (صلى الله عليه وآله) في حشد من أصحابه مخاطباً لهم، «علي أقضاكم» والقضاء يستوجب الأعلمية، فعلي أعلم الصّحابة قاطبة لشهادة الرّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأقر بذلك كلّ من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتّابعين، وسلسلة طبقات الفقهاء حتّى عصرنا الحاضر وإلى يوم الانقضاء.

"علي (عليه السلام) يحدث كميلاً عن النّفس"

ذكر صاحب الرّوضات[1] قال: وفي حديث كميل بن زياد، قال: سألت أمير المؤمنين (عليه السلام) قلت أريد أن تعرفني نفسي فقال (عليه السلام): يا كميل فأي نفس تريد أن أعرفك؟ قلت يا مولاي، هل هي إلا نفس واحدة، فقال (عليه السلام) يا كميل، إنّما هي أربعة: النّامية النّباتية، والحسية الحيوانية، والنّاطقة القدسية، والكلية الإلهية، ولكلّ واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان، فالنّامية النّباتية لها خمس قوى ماسكة وجاذبة وهاضمة ودافعة ومربية، ولها خاصيتان: الزّيادة والنّقصان وانبعاثها من الكبد، وهي أشبه الأشياء بنفس الحيوان، الحسية والحيوانية ولها خمس قوى: سمع وبصر وشم وذوق ولمس ولها خاصيتان: الرّضا والغضب وانبعاثها من القلب، وهي أشبه بنفس السّباع، والنّاطقة ولها خمس قوى: فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة وليس لها انبعاث، وهي أشبه الأشياء بنفس الملائكة، ولها خاصيتان: النّزاهة والحكمة، والكلية الإلهية ولها خمس قوى: بقاء في فناء، ونعيم في شقاء، وعزّ في ذل وغنى في فقر وصبر في بلاء، ولها خاصيتان: الرّضا والتّسليم، وهذه الّتي مبدأها من الله وإليه تعود، لقوله تعالى ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾[2] وأمّا عوده فلقوله تعالى ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[3] والعقل وسط الكلّ، قال السّيد عطر الله ضريحه، وهذا من جملة أحاديث الحكمة الّتي قل ما يوجد نظيره في شتى من كتب الحديث يدل على كون الرّجل -أي كميل- ذا معرفة كاملة ومنزلة كابرة وشأن رفيع وقدر منيع.

«توضيح»

قوله (عليه السلام) - مربية- هي القوة المنمية وقوله (عليه السلام) وانبعاثها من القلب - أي أولا وبالذّات، وهذا لا يدفع قول الحكيم وتسميته إياها قوى دماغية، لأنّ الرّوح ينبعث من التّجويف الأيسر من القلب أوّلاً ثمّ يصعد في مسلك بعض الشّرايين إلى الدّماغ فيبرد بالتّردد في تجاويفه فيعتدل ويصير مطايا القوى الدّماغية، ولعلّ الفكر والذّكر والعلم متعلقة بالعقل النّظري المسمى بالقوّة العلامة للناطقة، فتكون إشارة إلى العقل بالملكة والعقل وبالفعل والعقل المستفاد والحلم والنّباهة متعلقان بالعقل العملي المسمى بالقوّة العمالة للناطقة، فتكون إحداهما الحال والأخرى الملكة في العمل الصّالح، ومناسبة الحكم إنّما هي مع الملكة باعتبار الثّبات والاستقامة والطّاقة للعامل، وإمّا الحدس، فيليق بالنّفس الرّابعة لأنّ الأحكام تابعة للعنصر الغالب، والحدس فيها غالبة لا في الثّالثة، ويمكن أن يكون النّباهة إشارة إلى الحدس المغلوب للفكر في الثّالثة، والنّزاهة هي الحرية الّتي يقال في النّفس الشّريفة هي الّتي فيها الحكمة والحرية، وقوله (عليه السلام): والكلية الإلهية بقاء في فناء الخ.. يمكن أن يكون في التّعليل ولا يخفى وجهه أو أن يكون للظرفية، من قبيل كون الباطن في الظّاهر والرّوح في الجسد ومن أمثال العرفاء، إذا جاوز الشّيء حده انعكس إلى ضدّه، وقوله (عليه السلام): والعقل وسط الكلّ تمثيل لكون العقل مركزاً وهي دوائر، لكن أعلم أنّ الأمر في المركز والدّائرة المعنويين في الإحاطة، على عكس حال المركز والدّائرة الحسيتين فذلك العقل الكلّي أن رزقك الله تعالى هو الأصل المحفوظ لهذه.

كميل يسأل عليّاً عن الحقيقة فيجيبه:

ذكر النّيسابوري في رجاله، قال كان كميل من خواص علي (عليه السلام) أردفه على جمله، فسأله كميل فقال: يا أمير المؤمنين ما الحقيقة؟ فقال (عليه السلام) ما لك والحقيقة، فقال كميل: أو لست صاحب سرك يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ولكن يرشح عليك ما يطفح مني، فقال: أو مثلك يخيب سائلاً، فقال (عليه السلام) الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة، قال كميل زدني بياناً، قال (عليه السلام) محو الموهوم وصحو العلوم، فقال زدني بياناً، قال (عليه السلام) هتك السّتر لغلبة السّر، فقال (عليه السلام) زدني بياناً، قال (عليه السلام) نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التّوحيد آثاره، فقال: زدني بياناً، فقال (عليه السلام) أطف السّراج فقد طلع الصّبح[4].

---

(١) انظر روضات الجنات ص٥٣٧.

(٢) سورة التّحريم - الآية ١٢.

(٣) سورة الفجر الآية ٢٧ - ٢٨.

(٤) عن الرّوضات ص٥٣٧.

وذكر صاحب «شرح الأسماء»[1] قال:

سأل كميل بن زياد، علياً (عليه السلام) ما الحقيقة؟ فقال (عليه السلام): ما لك والحقيقة يا كميل، فقال: أو لست صاحب سرك يا أمير المؤمنين؟ قال بلى: ولكن يرشح عليك ما يطفح مني، فقال: أو مثلك يخيب سائلاً؟ فقال (عليه السلام): «الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة» سبحات وجه الله أنواره كما في القاموس، وفي الحديث: أنّ لله سبعين ألف حجاب من نور وسبعين ألف حجاب من ظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كلما أنهى غلي بصره، ويمكن أن يراد بها الأنوار الذّاتية أو أن يراد بها الأنوار الفعلية من الأنوار القاهرة وكونها حقية لأجل أنّها من صقع الحقيقة وأنّها باقية موجودة بوجودها، وقوله (عليه السلام) من غير إشارة، إشارة مقام الفناء والفناء عن الفناء إذا دمت باقياً بآنيتك مشير إليه فقد خليت نفسك عنه وصيرته محدوداً، قال (عليه السلام): «من قال على م فقد أخلى منه» وقد ذكرنا في برهان عدم تخلل الغير أنّ المشير والإشارة وغيرهما كلّها كلماته، ولذا قال الشّيخ الشّبلي من أشار إلى التّوحيد بإشارة فهو زنديق، وقال الشّيخ عبد الله الأنصاري:

ما وحد الواحد من واحد ... إذ كلّ من وحده جاحد

توحيد من ينطق عن نعته ... عارية أبطلها الواحد

فقال كميل: زدني بياناً، قال (عليه السلام): «محو الموهوم وصحو المعلوم» المراد بالموهوم وجه النّفس من كلّ شيء، وبالمعلوم وجه الله منه، والتّعبير بالمعلوم المراد به اليقين لأجل أنّ الغايات كما قال الحكماء منقسمة إلى الخيرات اليقينية والظّنية والتّخييلية الأولى للمقربين والثّانية لأصحاب اليمين والثّالثة لأصحاب الشّمال والدّنيويين لأنّ مطلوبات هؤلاء في حركاتهم إنّما هي الأمور المحدودة الدّاثرة الزّائلة ومطلوبات أصحاب اليمين وإن كانت محدودة أيضاً، ولهذا كانت خيرات ظنية لا حقيقية إلا أنّها دائمة باقية، وأمّا مطلوب المقربين فإنّه عالم العقل الّذي هو دار اليقين، والصّحو ذهاب الغيم، والسّكر وترك الصّبي والباطل كذا في القاموس، ففي التّعبير به إشارة إلى أنّ الموهوم الّذي هو المهية والعين الثّابت والوجه الّذي للوجود إليها غيم وحجاب لنور شمس الحقيقة والاشتغال به بالباطل:

الأكل شيء ما خلا الله ... باطل وسكر وصبى

كما قال الشّاعر:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله

وعرى أفراس الصّبي ورواحله

فقال كميل: زدني بياناً، قال (عليه السلام): «هتك السّتر وغلبة السّر» السّر عند العرفاء الشّامخين كلّ ما يحجبك عما يغنيك كغطاء الكون والوقوف مع العادات والأعمال، والسّر هو ما يخص كلّ شيء من الحق، وسر الحقيقة ما لا يفشى من حقيقة الحق في كلّ شيء، فقال كميل: زدني بياناً، قال (عليه السلام): «جذب الأحدية لصفة التّوحيد» قد عرفت معنى الأحدية والواحدية المعبر عنها ههنا بالتّوحيد واللام في الصّفة صلة للجذب، يعني أنّ الحقيقة أن يتجلى نور الأحدية ويرفع حجب كثرة الأسماء الّتي في مقام الواحدية فضلاً عن ظلمة كثرة المظاهر، فقال كميل: زدني بياناً، قال (عليه السلام): «نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التّوحيد آثارة» المراد بالنّور هو النّور الفعلي الّذي استشرقت به السّموات والأرض وهو الفيض المقدس، والمراد بصبح الأزل هو الفيض الأقدس وبالهياكل المهيآت وبالتّوحيد حقيقته ومصداقه وهو التّوحيد التّكويني كما قال تعالى: شهد الله أنّه لا إله إلا هو، وفي الحديث «التّوحيد الحق هو الله» وفي حديث آخر «التّوحيد ظاهره في باطنه وباطنه في ظاهره» وأشار بلائحية آثاره إلى اختفائه من فرط ظهوره، فلاحت عند العقول والأوهام آثاره وعلاماته، وهذه الفقرة إشارة إلى الوحدة في الكثرة، والفقرة الّتي قبلها، أعني قوله (عليه السلام) جذب الأحدية لصفة التّوحيد إشارة إلى الكثرة في الوحدة، وأيضاً هذه إشارة إلى رسم الحقيقة من باب الفواعل والبدايات وتلك إشارة على رسمها من باب الغايات والنّهايات، فقال كميل: زدني بياناً، قال (عليه السلام): «أطف السّراج فقد طلع الصّبح» يعني أطف سراج عقلك أي تفحصه وتفتيشه، فقد طلع صبح مطلوبك من أفق البيان، وفيه إيماء إلى أنّ إظهار البيان للحقيقة مثل إظهار السّراج للصبح بل الحق المبين يبين البيان ولذا أوثق الدّلائل وأشرفها هو الاستدلال بالوجود عليه كما هو طريقة الحكماء الإلهيين لأنّ الإمكان والحدوث والحركة الّتي في الطّرق الأخرى من الأسماء السّوي أو الصّفات الخلقية والحق وأسماؤه أظهر من كلّ شيء، إذ الكلّ به ومنه وله وإليه فكيف يستدل عليه بما هو في وجوده مفتقر إليه.

ذكر العلامة الجليل السّيد محمّد مهدي الكاظمي[2] في تعليقه على هذا الكلام، قال أيده الله وفي نفسي من هذا الحديث شيء وجل ظني أنّه من وضع الصّوفية وإن أورده جمع من علماء الفريقين في كتبهم، كما عرفت وذلك لأمور.

«الأوّل» أنّ الخبر المشار إليه لم يكن أكثر من سطر حتّى يستغرق وقتاً كثيراً ينتهي إلى الصّبح فيأمره أمير المؤمنين (عليه السلام) بإطفاء السّراج ومن البعيد أن يطرق كميل مع عقله وكماله باب دار أمير المؤمنين قبيل طلوع الصّبح مع علمه رضي الله عنه باشتغال أمير المؤمنين (عليه السلام) بنوافل الليل ومقدمات صلاة الفجر.

(١) انظر الحاج ملا هادي السّبزواري – شرح الأسماء-أي شرح دعاء الجوشن الكبير.

(٢) نتائج المطالعات وثمرات المراجعات، مخطوط.

«الثّاني» أنّ كميل رضي الله عنه كان غرضه الوقوف على معنى الحقيقة ولم يقف حتّى طلع الصّباح.

«الثّالث» أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) وكذلك أولاده (عليهم السلام) كانوا يجيبون كلّ من يسألهم بأجوبة شافية كافية غير مجملة بأبلغ عبارة وأحسن بيان كما لا يخفى على من مارس كلماتهم ومخاطباتهم وأجوبتهم (عليهم السلام) المدونة في كتب الفريقين، هذا نهج البلاغة وهذه الصّحيفة العلوية والصّحيفة السّجادية وكذا سائر الأدعية المأثورة عنهم والزّيارات المروية عنهم والخطب المنقولة عنهم تنادي بأعلى صوتها بأنّها صادرة عن معادن العلوم والآثار ومنابع الحكم والأخبار، كما لا يخفى على من جاس خلال تلك الدّيار.

«الرّابع» أنّه لا داعي لإلقاء أمثال هذه الكلمات المجملة والعبارات المبهمة على مسامع حامل أسراره وهو لا يفهمها انتهى قلت هذا رأي السّيد الكاظمي وقد تفرد به حفظه الله.

«علي (عليه السلام) يحدث كميلاً عن فضل العلم»

ذكر الشّريف الرّضي رضوان الله عليه في -نهج البلاغة- من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ما نصه.

قال كميل بن زياد أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فأخرجني إلى الجبان[1] فلما أصحر تنفس الصّعداء[2] ثمّ قال (عليه السلام): يا كميل بن زياد، إنّ هذه القلوب أوعية أوعية فخيرها أوعاها[3] فاحفظ عني ما أقول لك[4]، النّاس ثلاثة[5] فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق يميلون مع كلّ ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال[6] والمال تنقصه النّفقة والعلم يزكو على الأنفاق[7] وصنيع المال يزول بزواله[8] يا كميل بن زياد معرفة العلم دين يدان به يكسب الإنسان الطّاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته[9] والعلم حاكم والمال محكوم عليه[10] يا كميل بن زياد، هلك خزان الأموال وهم أحياء

---

(١) قال ابن منضور في لسان العرب، الجبان والجبانة بالتّشديد، الصّحراء وتسمى بها المقابر لأنّها تكون في الصّحراء، تسمية الشّيء بموضعه، قيل وكلّ صحراء جبانة.

(٢) أصحر أي صار في الصّحراء، وتنفس الصّعداء أي تنفس تنفساً محدوداً، قال ابن منضور والتّنفس استمداد النّفس، وقد تنفس الرّجل وتنفس الصّعداء، قال ابن ميثم في شرحه: والصّعداء نوع من التّنفس يصعده المتلهف والحزين.

(٣) شبه (عليه السلام) القلوب بالأوعية، إذ كلما يوضع بالوعاء يأخذه، ثمّ قال وخيرها -أي القلوب أوعاها أراد من الوعي الفهم والذّكي- وقيل أوعاها أي أحفظها وأجمعها.

(٤) أمر (عليه السلام) صاحبه كميل أن يحفظ كلّ ما يقول له ويعي كلامه.

(٥) قوله (عليه السلام) النّاس ثلاثة: قال ابن أبي الحديد، قسمة صحيحة، وذلك لأنّ البشر باعتبار الأمور الإلهية إمّا عالم على الحقيقة يعرف الله تعالى، وإمّا شارع في ذلك فهو بعد في السّفر إلى الله، يطلبه بالتّعلم، والاستفادة من العالم، وإمّا لا ذا ولا ذاك وهو العامي السّاقط الّذي لا يعبأ الله به وصدق (عليه السلام) في أنّهم همج رعاع أتباع كلّ ناعق، ألا تراهم ينتقلون من التّقليد لشخص إلى تقليد الآخر لأدنى خيال وأضعف وهم، وقال ابن ميثم: قسم علي (عليه السلام) النّاس إلى ثلاثة أصناف ووجه القسمة، إنّ النّاس إمّا عالم أو ليس، والثّاني إمّا طالب علم أو ليس، ثمّ وصف كلا من الأقسام الثّلاثة بصفة أو صفات، فالأوّل: العالم ووصفه بالرّباني نسبة إلى الرّب تعالى، على غير قياس أي العالم علم ربوبيته، وهو العارف بالله تعالى وزيدت الألف والنّون للمبالغة في النّسبة، قال الله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾، وقيل سموا بذلك لأنّهم يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها، وقيل لأنّهم يربون العلم أي يقومون بإصلاحه، الثّاني: المتعلم ووصفه (عليه السلام) بكونه على سبيل نجاة، ولما كان العلم سبباً للنجاة في الآخرة، وكان المتعلم في طريق تحصيله كان على سبيل النّجاة ليصل إليها بالعلم الّذي هو غايته المطلوبة، قلت وفي الحديث أنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضي بما يصنع، قال ابن ميثم، والثّالث: العوام، ووصفهم بأوصاف أحدها استعار لهم لفظ الهمج باعتبار حقارتهم، الثّاني وصفهم بالعامية والحداثة لكونهما مظنتي الجهل، الثّالث كونه أتباع كلّ ناعق ملاحظة لشبههم بالغنم في الغفلة والغباوة، الرّابع: كنى (عليه السلام) بكونهم يميلون مع كلّ ريح عن ضعفهم عن التّماسك في مذهب واحد والثّبات عليه، الخامس كونهم لم يستعينوا بنور العلم، وهو كونهم على ظلمة الجهل، السّادس ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، واستعار الرّكن الوثيق للاعتقادات الحقة البرهانية الّتي يعتمد عليها في دفع مكاره الآخرة.

(٦) قال ابن أبي الحديد: ثمّ شرع (عليه السلام) في ذكر العلم وتفضيله على المال، فقال العلم يحرسك وأنت تحرس المال وهذا أحد وجوه التّفضيل، وقال ابن ميثم في مدح العلم وتفضيله على المال من وجوه أحدها أنّ العلم يحرس صاحبه من مكاره الدّنيا والآخرة والمال يحرسه صاحبه، والفرق بين ما يكون خادماً لصاحبه وبين ما يحتاج صاحبه إلى حراسته في الفضيلة والنّفع.

(٧) قال ابن أبي الحديد، ثمّ ابتدأ (عليه السلام) فذكر وجهاً ثانياً فقال (عليه السلام): المال ينقص بالإنفاق منه والعلم لا ينقص بالإنفاق بل يزكو، وذلك لأنّ إفاضة العلم على التّلامذة تفيد المعلم زيادة استعداد وتقرر في نفسه تلك العلوم الّتي أفاضها على تلامذته وتثبتها وتزيدها رسوخاً.

(٨) يا لها من كلمة حكمية أدلى بها سيد البلغاء إلى صاحبه كميل (عليه السلام) قال ابن ميثم: إنّ صنيع المال، وهو الإحسان به يزول بزوال المال والإحسان بالعلم باق لبقائه وصنيع فعيل بمعنى مفعول، قلت ولابن أبي الحديد حول معرفة العلم هذه الكلمة الغراء شرح مفصل وبحث قيم فليراجع.

(٩) وقوله معرفة العلم دين يدان به الخ، قال ابن ميثم: أي تحصيله ديناً يدان به وقد علمت كونه الأصل في الدّين، كونه يكسب الإنسان طاعة الخلق له في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته وهما من فضائله الخارجية.

(١٠) قال ابن أبي الحديد: ثمّ شرع في تفضيل العلم على المال من وجه آخر، فقال العلم حاكم والمال محكوم عليه، وذلك لعلمك أنّ مصلحتك في إنفاق هذا المال تنفقه ولعلمك بأنّ المصلحة من إمساكه تمسكه، فالعلم بالمصلحة داع وبالضّرورة صارف، وهما الأمران الحاكمان بالحركات والتّصرفات إقداماً وإحجاماً، ولا يكون القادر قادراً مختاراً إلا باعتبارهما، وليا إلا عبارة عن العلم أو ما يجري مجرى العلم من الاعتقاد والظّن، فإذن قد بان وظهر أنّ العلم من حيث هو حاكم وإنّ المال ليس بحاكم بل محكوم عليه.

والعلماء باقون ما بقي الدّهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة[1].

ها إنّ ههنا لعلماً جماً «وأشار بيده إلى صدره» لو أصبت له حملة[2] بلى أصيب لقنا غير مأمون عليه مستعملاً آلة الدّين

(١) قال ابن ميثم: العلم: من أفضليته على المال كون خزان المال هالكين في الآخرة محكوم عليهم بذلك في الدّنيا وإنّ صدق عليهم أحياء، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ الآية. أمّا العلماء فباقونأبداً وإن فقدت أعيانهم من الدّنيا فصورهم في القلوب مشاهدة موجودة، قلت وما زالوا يذكرون بتأليفهم وما دونوه من علومهم وآثارهم والّتي هي متناول الأيدي وآراؤهم الحكيمة كالشّريف المرتضى علي بن الحسين أبو الثّمانين وأخيه الشّريف الرّضي محمّد بن الحسين وشيخهم الشّيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النّعمان العكبري والشّيخ الرّباني خواجة نصير الطّوسي رضوان الله عليه والشّيخ الطّوسي ونظائرهم ممن كرسوا حياتهم في إحياء الدّين ورفع كيان شريعة سيد المرسلين وهم الّذين ذكرهم الله تعالى في منيف خطابه ومحكم كتابه ﴿إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾، وقوله تعالى ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ﴾، وقوله تعالى ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ﴾، فالله عزّ اسمه بدأ بالشّهادة بذاته وثنى بملائكته وثلث بأهل العلم لمنزلتهم وكرامتهم عنده، قال ابن أبي الحديد في قوله (عليه السلام) والعلماء باقون ما بقي الدّهر: هذا الكلام له ظاهر وباطن فظاهره قوله أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة أي آثارهم وما دونوه من العلوم فكأنّهم موجودون، وباطنه أنّهم موجودون حقيقة لا مجازاً، على قول من قال ببقاء الأنفس، وأمثالهم في القلوب كناية ولغز ومعناه ذواتهم في حظيرة القدس والمشاركة بينها وبين القلوب ظاهرة لأنّ الأمر العام الّذي يشملهما هو الشّرف فكما أنّ تلك أشرف عالمها كذا القلب أشرف عالمه، فاستعير لفظ أحدهما وعبر به عن الآخر.

(٢) ذكر ابن أبي الحديد، بعد قوله (عليه السلام) ها أنّ ههنا لعلماً جماً أشار بيده إلى صدره، قال: هذا عندي إشارة إلى العرفان والوصول إلى المقام الأشرف الّذي لا يصل إليه إلا الواحد الفذ من العالم ممن لله تعالى فيه سر وله به اتصال، وقال ابن ميثم أشار بعد تقرير كمال هذه الفضيلة «أي العلم» إلى أنّ في صدره منها شيئاً كثيراً وإنّما يمنعه عن إظهاره عدم وجدان من يحمله عنه، قلت والمأثور عنه قوله (عليه السلام) علمني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألف باب من العلم يفتح لي من كلّ باب ألف باب، وهو القائل سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السّموات فإنّي أدرى بها أو أعلم بها من طرق الأرض، وعندما طرقت مسامع أحد العلماء الأوربيين هذه الكلمة «سلوني عن طرق السّموات» قال: ما أنصفنا أهل الكوفة، كان فيهم فذ واحد وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام) يصعد على منبرهم بالكوفة ويقول سلوني عن طرق السّموات، ما قام إليه منهم أحد وسأله عن المريخ أو عن الزّهرة أو عن كرة القمر، ولو كان سأله أحدهم في ذلك اليوم لأجابه بما عنده من العلوم السّماوية، ولما تعبنا اليوم ونحن ننصب التّلسكوبات وآلات التّكبير لكشف جرم واحد من هذه الأجرام السّماوية فلم نتوصل إليه، وأمّا العلوم الدّينية فيكفيه شاهداً قول الرّسول الأعظم مخاطباً المهاجرين والأنصار قائلاً: [أقضاكم علي]، قال ابن أبي الحديد وما أقول في رجل تعزى إليه كلّ فضيلة، وتنتهي إليه كلّ فرقة وتتجاذبه كلّ طائفة فهو رئيس الفضائل

للدنيا ومستظهراً بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه ينقدح الشّك في قلبه لأوّل عارض من شبهة إلا لا ذا ولا ذاك أو منهوماً باللذة سلس القياد للشهوة أو مغرماً بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدّين في شيء أقرب شبهاً بهما الأنعام السّائمة[3] كذلك يموت العلم بموت حامليه[4].

اللّهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة[5] إمّا ظاهراً

وينبوعها وأبو عذرها وسابق مضمارها ومجلي حلبتها، كلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفى وعلى مثاله احتذى، وقد عرفت أنّ أشرف العلوم هو العلم الإلهي لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم ومعلومه أشرف الموجودات فكان هو أشرف العلوم، ومن كلامه (عليه السلام) اقتبس وعنه نقل وإليه انتهى ومنه ابتدأ، إلى قوله: ومن العلوم علم الفقه، وهو (عليه السلام) أصله وأساسه، وكلّ فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه، أمّا أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمّد وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة وأمّا الشّافعي فقرأ على محمّد بن الحسن فيرجع فقهه إلى أبي حنيفة، وأمّا أحمد بن حنبل فقرأ على الشّافعي فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمّد (عليه السلام) وقرأ جعفر على أبيه (عليه السلام) وينتهي الأمر إلى علي (عليه السلام)، وأمّا مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرّأي وقرأ ربيعة على عكرمة وقرأ عكرمة على عبد الله بن عبّاس وقرأ عبد الله بن عبّاس على علي (عليه السلام)، وإن شئت رددت إليه فقه الشّافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك فهؤلاء الفقهاء الأربعة، وأمّا فقه الشّيعة فرجوعه إليه ظاهر، وأيضاً فإنّ فقهاء الصّحابة كانوا عمر بن الخطاب وعبد الله بن عبّاس وكلاهما أخذا عن علي (عليه السلام)، أمّا ابن عبّاس فظاهر، وأمّا عمر فقد عرف كلّ أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل الّتي أشكلت عليه وعلى غيره من الصّحابة، وقوله: غير مرة: لولا علي لهلك عمر، وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن (عليه السلام)، وقوله: لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر.. الخ.

(٣) قال ابن أبي الحديد في شرح كلامه (عليه السلام): لو أصبت له حملة، ومن الّذي يطيق حمله، بل من الّذي يطيق فهمه فضلاً عن حمله، ثمّ قال (عليه السلام) بلى أصيب، ثمّ قسم الّذي يصيبهم خمسة أقسام: أحدهم أهل الرّياء والسّمعة الّذين يظهرون الدّين والعلم، ومقصودهم الدّنيا فيجعلون النّاموس الدّيني شبكة لاقتناص الدّنيا، وثانيهم قوم من أهل الخير والصّلاح ليسوا بذوي بصيرة في الأمور الإلهية الغامضة فيخاف من إفشاء السّر إليهم أن تنقدح في قلوبهم شبهة بأدنى خاطر، فإنّ مقام المعرفة مقام خطر صعب لا يثبت تحته إلا الأفراد من الرّجال الّذين أيدوا بالتّوفيق والعصمة، وثالثها رجل صاحب لذات وطرب مشتهر بقضاء الشّهوة فليس من رجال هذا الباب، ورابعها رجل مغرم بجمع المال وادخاره لا ينفقه في شهواته ولا في غير شهواته، فحكمه حكم القسم الثّالث.

(٤) قال ابن أبي الحديد: أي إذا مت مات العلم الّذي في صدري، لأنّي لم أجد أحداً أدفعه إليه وأورثه إيّاه.

(٥) قال ابن أبي الحديد: ثمّ استدرك، فقال اللّهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة الله كيلا يخلو الزّمان ممن هو مهيمن لله تعالى على عباده ومسيطرعليهم، وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإمامية.

قال ابن ميثم في شرحه: قالت الشّيعة هذا تصريح منه (عليه السلام) بوجوب الإمامة بين النّاس في كلّ زمان ما دام التّكليف باقياً، وإنّ الإمام قائم بحجة الله على

مشهوراً وإمّا خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا وأين أولئك والله الأقلون عدداً والأعظمون عند الله قدراً يحفظ الله بهم حججه وبيناته حتّى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدّعاة إلى دينه[1] آه آه شوقاً إلى رؤيتهم[2] انصرف يا كميل إذا شئت.

خلقه، ويجب وجوده بمقتضى حكمته، وهو إمّا أن يكون ظاهراً معروفاً، كالّذين سبقوا إلى الإحسان ووصلوا إلى المحل الأعلى من ولده الأحد عشر، وإمّا أن يكون خائفاً مستوراً لكثرة أعدائه وقلة المخلصين من أوليائه كالحجة المنتظر لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرّسل، قلت وهذه أسفار المؤلفين وكتب علماء المسلمين زاخرة بالأحاديث عن الرّسول الأعظم والأخبار الصّحيحة عن الأئمّة الأطهار في غيبة المهدي، وطفحت كتب السّنة أكثر من كتب الشّيعة بذكره (عليه السلام) كصحيح البخاري وصحيح سنن المصطفى للسجستاني وصحيح التّرمذي وإسعاف الرّاغبين لابن الصّبان، والجامع اللطيف للمخزومي ونور الأبصار للشبلنجي وينابيع المودة لسليمان الحنفي والفتوحات المكية لابن عربي، والفتوحات الإسلامية لابن دحلان، وتاريخ الدّول للتركاني، وقد أفرد ابن حجر في صواعقه باباً في الحجة المنتظر، وذكر القرماني في تاريخه، قال: واتفق العلماء على أنّ المهدي هو القائم في آخر الوقت وقد تعاضت الأخبار على ظهوره، وتظاهرت الرّوايات على إشراق نوره، وستفسر ظلمة الأيّام والليالي بسفوره وينجلي برؤيته الظّلم انجلاء الصّبح عن ديجوره.

ويسير عدله في الآفاق فيكون أضوأ من البدر المنير في مسيره، إلى غير ذلك من الكتب الّتي لو أردنا إثباتها لاحتجنا إلى موسوعة في أسمائها وأسماء مؤلفيها، إلا أنّ أصحابنا يحملونه على أنّ المراد به الأبدال الّذين وردت الأخبار النّبوية عنهم أنّهم في الأرض سائحون فمنهم من يعرف ومنهم من لا يعرف، وأنّهم لا يموتون حتّى يودعوا السّر وهو العرفان عند قوم آخرين يقومون مقامهم، ثمّ استنزر عددهم، فقال (عليه السلام): وكم ذا أي كم ذا القيل وكم ذا الفريق، ثمّ قال (عليه السلام): وأين أولئك، استبهم مكانهم ومحلهم، ثمّ قال (عليه السلام): هم الأقلون عدداً الأعظمون قدراً.

(١) ثمّ ذكر (عليه السلام): إنّ العلم هجم بهم على حقيقة الأمر، وانكشف لهم المستور المغطى وباشروا راحة اليقين وبرد القلب وثلج العلم، واستلانوا ما شق على المترفين من النّاس ووعر عليهم نحو التّوحد ورفض الشّهوات وخشونة العيشة، ثمّ قال وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون يعني العزلة ومجانبة النّاس وطول الصّمت وملازمة الخلوة ونحو ذلك مما هو شعار القوم، ثمّ قال (عليه السلام): وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، قال ابن أبي الحديد: هذا مما يقوله أصحاب الحكمة من تعلق النّفوس المجردة بمبادئها من العقول المفارقة فمن كان أزكى كان تعلقه بها أتم.

(٢) ثمّ قال أولئك خلفاء الله في أرضه والدّعاة إلى دينه لا شبهة أن بالوصول يستحق الإنسان أن يسمى خليفة الله في أرضه، وهو المعنى بقوله سبحانه للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة، فالخليفة لا يكون إلا بأمر من الله وإرادته لا بالإجماع الصّوري وبقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾، ثمّ قال (عليه السلام): آه آه شوقاً إلى رؤيتهم، قال ابن أبي الحديد، هو (عليه السلام)

"وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لكميل (رضي الله عنه)"

أخبرنا الشّيخ أبو البقا إبراهيم بن الحسين بن إبراهيم البصري بقراءتي عليه في المحرم سنة عشر وخمسمائة بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، عن أبي طالب محمّد بن الحسن «بن عتبة» عن أبي الحسن محمّد بن الحسين بن أحمد عن محمّد بن وهبان النيلي عن علي بن أحمد بن كثير العسكري عن أحمد بن أبي سلمة محمّد بن كثير، عن أحمد ابن أحمد بن الفضل الأصفهاني عن أبي راشد بن علي بن وايل القرشي عن عبد الله بن جهض المدني عن أبي محمّد بن إسحاق عن سعيد بن زيد بن أرطاة، قال: لقيت كميل بن زياد النّخعي وسألته عن فضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال: ألا أخبرك بوصية أوصاني بها خير لك من الدّنيا بما فيها، فقلت بلى، فقال: أوصاني يوماً، فقال لي: يا كميل بن زياد سم كلّ يوم باسم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، وتوكل على الله، واذكرنا وسم بأسمائنا وصل علينا، واستعذ بالله وبنا وأدرأ بذلك على نفسك وما تحوطه عنايتك تكف شر ذلك اليوم إن شاء الله.

* يا كميل إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أدبه الله عزّ وجل وهو أدبني وأنا أؤدب المؤمنين وأورث الأدب المكرمين.

* يا كميل، ما من علم إلا وأنا أفتحه وما من سر إلا والقائم (عليه السلام) يختمه.

* يا كميل، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم.

* يا كميل، لا تأخذ إلا عنا تكن منا.

* يا كميل، ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة.

* يا كميل، إذا أكلت الطّعام فسم بالله الّذي لا يضر مع اسمه داء وهو الشّفاء من جميع الأدواء.

* يا كميل، إذا أكلت الطّعام فواكل الطّعام ولا تبخل عليه فإنّك لم ترزق النّاس شيئاً والله يجزل لك الثّواب بذلك.

* يا كميل، أحسن خلقك وأبسط جليسك ولا تنهرن خادمك.

* يا كميل، إذا أكلت فطول أكلك ليستوفي من معك وترزق منه غيرك.

أحق النّاس بأن يشتاق إلى رؤيتهم لأنّ الجنسية علة الضّم والشّيء يشتاق إلى ما هو سنخه وسوسته وطبيعته، ولما كان هو (عليه السلام) شيخ العارفين وسيدهم، لا جرم اشتاقت نفسه الشّريفة إلى مشاهدة أبناء جنسه وإن كان كلّ واحد من النّاس دون طبقته، ثمّ قال (عليه السلام): انصرف يا كميل إذا شئت، قال ابن أبي الحديد وهذه الكلمة من محاسن الآداب ومن لطائف الكلم لأنّه لم يقتصر، على أن قال انصرف يا كميل كيلاً يكون أمراً وحكماً بالانصراف لا محالة فيكون فيه نوع علو عليه فاتبع ذلك بقوله إذا شئت ليخرجه من ذل الحكم وقهر الأمر إلى عزة المشيئة والاختيار.

* يا كميل، إذا استوفيت طعامك، فاحمد الله على ما رزقك، وارفع بذلك صوتك يحمده سواك فيعظم بذلك أجرك.

* يا كميل، لا توقرن معدتك طعاماً ودع فيها للماء موضعاً وللريح مجالاً.

* يا كميل، لا ينفد طعامك، فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم ينفده.

* يا كميل، لا ترفعن يدك عن الطّعام إلا وأنت تشتهيه، فإذا فعلت ذلك فأنت تستمريه.

* يا كميل، صحة الجسد من قلة الطّعام وقلة الماء.

* يا كميل، البركة، في المال من إيتاء الزّكاة ومواساة المؤمنين وصلة الأقربين وهم الأقربون.

* يا كميل، زد قرابتك المؤمن على ما تعطي سواه من المؤمنين، وكن لهم أرأف وعليهم أعطف وتصدق على المساكين.

* يا كميل، لا تردنّ سائلاً ولو بشق تمرة أو من شطر حبة.

* يا كميل، الصّدقة تنمى عند الله.

* يا كميل، حسن خلق المؤمن التّواضع وجماله التّعفف وشرفه الشّفقة، وعزّه ترك القال والقيل.

* يا كميل، إيّاك والمراءاة، فإنّك تغري بنفسك السّفهاء إذا فعلت وتفسد الإخاء.

* يا كميل، إذا جادلت في الله تعالى، فلا تخاطب إلا من يشبه العقلاء، وهذا قول ضرورة.

* يا كميل، هم على كلّ حال سفهاء، كما قال الله تعالى **﴿ألا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ وَلكِنْ لا يَعْلَمُونَ﴾**.

* يا كميل، في كلّ قوم صنف أرفع من قوم، وإيّاك ومناظرة الخسيس منهم وإذا أسمعوك فاحتمل وكن من الّذين وصفهم الله تعالى فقال: **﴿وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾**.

* يا كميل، قل الحق على كلّ حال ووازر المتقين واهجر الفاسقين.

* يا كميل، جانب المنافقين ولا تصاحب الخائنين.

* يا كميل، إيّاك والتّطرق على أبواب الظّالمين والاختلاط بهم والاكتساب منهم، وإيّاك أن تطيعهم[1] أو تشهد في مجالسهم بما يسخط الله عليك.

* يا كميل، إذا اضطررت إلى حضورهم فداوم ذكر الله تعالى وتوكل عليه واستعذ بالله من شرهم وأطرق عنهم وأنكر بقلبك فعلهم، وأجهر بتعظيم الله تعالى لتسمعهم فإنّهم يهابوك وتكفى شرهم.

(١) في نسخة تعظمهم.

* يا كميل، إنّ أحب ما امتثله العباد إلى الله بعد الإقرار به وبرسوله وأوليائه (عليهم السلام) التّجمل والتّعفف والاصطبار.

* يا كميل، لا بأس بأن لا يعلم سرك.

* يا كميل، لا ترى النّاس افتقارك واضطرارك واصبر عليه احتساباً بعز وتستر.

* يا كميل، لا بأس بأن تعلم أخاك سرك.

* يا كميل، ومن أخوك، أخوك الّذي لا يخذلك عند الشّدة ولا يقعد عنك[2] عند الجريرة ولا يخدعك حين تسأله ولا يتركك وأمرك حتّى تعلمه فإنّ كان مميلاً أصلحه.

* يا كميل، المؤمن مرآة المؤمن لأنّه يتأمله ويسد فاقته، ويجمل حالته.

* يا كميل، المؤمنون أخوة ولا شيء آثر عند كلّ أخ من أخيه.

* يا كميل، إن لم تحب أخاك فلست أخاه.

* يا كميل، المؤمن من قال بقولنا، فمن تخلف عنا قصر عنا ومن قصر عنا لم يلحق بنا ومن لم يكن معنا ففي الدّرك الأسفل من النّار.

* يا كميل، كلّ مصدور ينفث فمن نفث إليك منا بأمر فأسره وإيّاك أن تبديه فليس لك من إبدائه توبة، فإذا لم تكن توبة فالمصير إلى لظى.

* يا كميل، إذاعة سر آل محمّد عليه السّلام لا يقبل الله تعالى منها ولا يحتمل أحد عليها.

* يا كميل، وما قالوه لك مطلقاً فلا تعلمه إلا مؤمناً موافقاً.

* يا كميل، لا تعلموا الكافرين من أخبارنا فيزيدوا عليها فيبذوكم بها على يوم يعاقبون عليها.

* يا كميل، لا بد لماضيكم من أوبة ولا بد لنا فيكم من غلبة.

* يا كميل، سيجمع الله تعالى لكم خير البدء والعاقبة.

* يا كميل، أنتم ممتوعون بأعدائكم تطربون بطربهم وتشربون بشربهم وتأكلون بأكلهم وتدخلون مداخلهم، وربما غلبتم على نعمتهم أي والله على إكراه منهم لذلك ولكن الله عزّ وجل ناصركم وخاذلهم فإذا كان والله يومكم وظهر صاحبكم، لم يأكلوا والله معكم ولم يردوا مواردكم ولم يقرعوا أبوابكم ولم ينالوا نعمتكم أذلة خاسئين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً.

* يا كميل، أحمد الله تعالى والمؤمنين على ذلك وعلى كلّ نعمة.

(٢) في نسخة «لا يدعك».

* يا كميل، قل عند كلّ شدة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تكفها، وقل عند كلّ نعمة الحمد لله تزداد منها، وإذا أبطأت الأرزاق عليك فاستغفر الله يوسع عليك فيها.

* يا كميل، إذا وسوس الشّيطان في صدرك فقل أعوذ بالله القوي من الشّيطان الغوي وأعوذ بمحمّد الرّضي من شر ما قدر وقضى، وأعوذ بإله النّاس من شر الجنة والنّاس أجمعين تكفى مؤونة إبليس والشّياطين معه، ولو كلّهم أبالسة مثله.

* يا كميل، إنّ لهم خدعاً وشقائق وزخارف ووساوس وخيلاء على كلّ أحد قدر منزلته في الطّاعة والمعصية فبحسب ذلك يستولون عليه بالغلبة.

* يا كميل، لا عدو أعدى منهم ولا ضار أضربك منهم، أمنيتهم أن تكون معهم غداً إذا جثوا في العذاب، لا يفتر عنهم بشرره ولا يقصر عنهم خالدين فيها أبداً.

* يا كميل، الله محيط بمن لم يحترز منهم باسمه وبنبيه وجميع عزائمه وعوذه جل وعز صلى الله على نبيه وآله وسلم.

* يا كميل، إنّهم يخدعون بأنفسهم فإذا لم تجبهم مكروا بك وبنفسك لتجيبهم شهواتك وإعطائك أمانيك وإراداتك ويسألون وينسونك وينهونك ويأمرونك ويحسنون ظنك بالله عزّ وجل حتّى ترجوه فتغتر بذلك فتعصيه وجزاء العاصي لظى.

* يا كميل، أحفظ قول الله عزّ وجل ﴿**الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلى**﴾ والمسول الشّيطان والمملي الله.

* يا كميل، اذكر قول الله تعالى لإبليس لعنه الله ﴿**وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُمْ فِي الأَمْوالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غُرُوراً**﴾.

* يا كميل، إنّ إبليس لا يعد عن نفسه وإنما يعد عن ربه ليحملهم على معصيته فيورطهم.

* يا كميل، إنّه يأتي لك بلطف كيده فيأمرك بما يعلم إنّك قد الفته من طاعة لا تدعها فتحسب أنّ ذلك ملك كريم وإنّما هو شيطان رجيم، فإذا أسكنت إليه واطمأننت حملك على العظائم المهلكة الّتي لا نجاة معها.

* يا كميل، إنّ له فخاخاً ينصبها فاحذر أن يوقعك فيها.

* يا كميل، إنّ الأرض مملوءة من فخاخهم، فلن ينجو منها إلا من تشبث بنا، وقد أعلمك الله أنّه لن ينجو فيها إلا عباده أولياؤنا وهو قول الله عزّ وجل ﴿**إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ**﴾، وقوله عزّ وجل ﴿**إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ**﴾.

* يا كميل، انج بولايتنا من أن يشركك في مالك وولدك كما أمر.

* يا كميل، لا تغتر بأقوام يصلون فيطيلون ويصومون فيدامون ويتصدقون فيحسبون أنّهم موفقون.

* يا كميل، اقسم بالله، لسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «إنّ الشّيطان إذا حمل قوماً على الفواحش، مثل الزّنا وشرب الخمر والرّبا وما أشبه ذلك من الخنا والمآثم، حبب إليهم العبادة الشّديدة والخشوع والرّكوع والخضوع والسّجود ثمّ حملهم على ولاية الأئمّة الّذين يدعون إلى النّار ويوم القيامة لا ينصرون».

* يا كميل، إنّه مستقر ومستودع فأحذر أن تكون من المستودعين.

* يا كميل، إنّما تستحق أن تكون مستقراً إذا لزمت الجادة الواضحة الّتي لا تخرجك إلى عوج ولا تزيلك عن منهج ما حملناك عليه وما هديناك إليه.

* يا كميل، لا رخصة في فرض ولا شدة في نافلة.

* يا كميل، إنّ الله عز وجل، لا يسألك إلا على فرض فإنّما قدمنا النّوافل بين أيدينا للأهوال العظام والطّامة يوم القيام[1].

* يا كميل، إنّ الواجب لله أعظم من أن تزيله الفرائض والنّوافل وجميع الأعمال وصالح الأموال ولكن من تطوع خيراً فهو خير له.

* يا كميل، إنّ ذنوبك أكثر من حسناتك، وغفلتك أكثر من ذكرك، ونعم الله عليك أكثر من عملك.

* يا كميل، لا تخلو من نعمة الله عز وجل عندك وعافية، فلا تخل من تحميده وتمجيده وتسبيحه وتقديسه وشكره وذكره على كلّ حال.

* يا كميل، لا تكونن من الّذين قال الله عز وجل فيهم، ﴿**نَسُوا اللهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ**﴾، ونسبهم إلى الفسق، فقال عز وجل ﴿**أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ**﴾.

* يا كميل، ليس الشّأن، أن تصلي وتصوم وتتصدق، الشّأن أن تكون الصّلاة فعلت بقلب نقي وعمل عند الله مرضي وخشوع سوي وإبقاء للجد فيها.

* يا كميل، عند الرّكوع والسّجود وما بينهما تبتله[2] العروق والمفاضل، حتّى تستوفي ولاء إلى ما تأتي به من جميع صلواتك.

* يا كميل، انظر فيما تصلي وعلى ما تصلي إن لم تكن من وجهة وحلة فلا قبول فيها.

---

(١) في نسخة المقام.

(٢) في نسخة تنبأت.

* يا كميل، إنّ اللّسان ينزح من القلب، والقلب يقوم بالغذاء فانظر فيما تغذي قلبك وجسمك فإن لم يكن ذلك حلالاً، لم يقبل الله تعالى تسبيحك ولا شكرك.

* يا كميل، افهم وأعلم أنّا لا نرخص في ترك أداء الأمانات لأحد من الخلق، فمن روى عني في ذلك رخصة فقد أبطل وأثم وجزاؤه النّار بما كذب، أقسم لسمعت رسول الله (ﷺ) يقول لي قبل وفاته بساعة مراراً ثلاثة، يا أبا الحسن أد الأمانة إلى البر والفاجر فيما قل وجل حتّى في الخيط والمخيط

* يا كميل، لا غزو إلا مع إمام عادل، ولا نفل إلا مع إمام عادل.

* يا كميل، أرأيت لو لم يظهر نبي وكان في الأرض مؤمن تقي لكان في دعائه إلى الله مخطئاً أو مصيباً بلى والله مخطئاً حتّى ينصبه الله عز وجل ويؤهله.

* يا كميل، الدّين لله فلا تغترن بأقوال الأمّة المخدوعة الّتي قد ضلت بعد ما اهتدت وأنكرت وجحدت بعد ما قبلت.

* يا كميل، الدّين لله تعالى فلا يقبل الله تعالى من أحد القيام به إلا رسولاً أو نبياً أو وصياً.

* يا كميل، هي نبوّة ورسالة وإمامة ولا بعد ذلك إلا متولين ومتغلبين وضالين ومعتدين.

* يا كميل، إنّ النّصارى لم تعطل لله تعالى حداً ولا اليهود ولا جحدت موسى ولا عيسى ولكنّهم زادوا ونقصوا وحرفوا وألحدوا فلعنوا ومقتوا ولم يتوبوا ولم يقبلوا.

* يا كميل، إنّما يتقبل الله من المتقين.

* يا كميل، إنّ أبانا آدم لم يلد يهودياً ولا نصرانياً، ولا كان ابنه إلاّ حنيفاً مسلماً، فلم يقم بالواجب عليه، فأراه أن لا يقبل الله قربانه بل قبل من أخيه فحسده وقتله وهو من المسجونين في الفلق الّذي عدتهم اثني عشر ستة من الأوّلين وستة من الآخرين، والفلق الأسفل من النّار ومن بخاره حر جهنم وحسبك حرّ جهنم من بخاره.

* يا كميل، نحن والله الّذين اتقوا والّذين هم محسنون.

* يا كميل، إنّ الله عزّ وجل، كريم حليم عظيم رحيم، دلنا على أخلاقه، وأمرنا بالأخذ بها، وحمل النّاس عليها فقد أديناها غير مختلفين وأرسلناها غير منافقين، وصدقناها غير مكذبين وقبلناها غير مرتابين، لم يكن لنا والله شياطين نوحي إليها وتوحي إلينا، كما وصف الله تعالى قوماً ذكرهم الله عزّ وجل بأسمائهم في كتابه لو قرئ كما أنزل، شياطين الأنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً.

* يا كميل، الويل لهم سوف يلقون غياً.

* يا كميل، لست والله متملقاً حتّى أطاع ولا ممناً حتّى أعصي ولا ما يرى مهاناً لطعام الأعراب حتّى انتحل إمرة المؤمنين وادعي بها.

* يا كميل، نحن الثّقل الأصغر والقران الثّقل الأكبر، وقد أسمعهم رسول الله وقد جمعهم فنادى الصّلاة جامعة يوم كذا وكذا وأياماً سبعة وقت كذا وكذا فلم يتخلف أحد فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: معاشر النّاس إنّي مؤد عن ربي عزّ وجل ولا مخبر عن نفسي فمن صدقني فقد صدق الله ومن صدق الله أثابه الجنان، ومن كذبني فقد كذب الله عز وجل، ومن كذب الله أعقبه النّيران ثمّ ناداني فصعدت فأقامني دونه ورأسي إلى صدره والحسن والحسين عن يمينه وعن شماله ثمّ قال: معاشر النّاس أمرني جبرئيل عن الله عز وجل ربي وربكم أن أعلمكم أنّ القرآن هو الثّقل الأكبر، وأن وصيي هذا وابناي ومن خلفهم من أصلابهم هم الثّقل الأصغر يشهد الثّقل الأكبر للثقل الأصغر ويشهد الثّقل الأصغر للثقل الأكبر، كلّ واحد منهما ملازم لصاحبه غير مفارق له حتّى يردا على الله فيحكم بينهما وبين العباد.

* يا كميل، فإذا كنا كذلك فعلام يتقدمنا من تقدم ويتأخر عنا من تأخر.

* يا كميل، قد أبلغهم رسول الله (ﷺ) رسالته ونصح لهم ولكن لا يحبون النّاصحين.

* يا كميل، قال رسول الله (ﷺ)، قولاً أعلنه والمهاجرون والأنصار متوافرون يوماً بعد العصر يوم النّصف من شهر رمضان، وهو قائم على قدميه من فوق منبره: عليٌّ مني وابناي منه والطّيبون مني ومنهم، وهم الطّيبون بعد أمّتهم، وهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هوى، النّاجي في الجنة والهاوي في لظى.

* يا كميل، الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

* يا كميل، ما يحسدونا والله شأناً قبل أن يعرفونا أتراهم بحسدهم إيانا عن ربنا يزيلونا.

* يا كميل، من لا يسكنه الجنة فبشره بعذاب أليم، وخزي مقيم، وأكبال ومقاطع وسلاسل طوال ومقطعات النّيران ومقارنة كلّ شيطان الشّراب صديد، واللّباس حديد والخزنة فظظة والنّار ملتهبة والأبواب موثقة مطبقة ينادون فلا يجابوا ويستغيثون فلا يغاثوا ولا يرحمون نداءهم، يا مالك ليقض علينا ربك، قال إنّكم ماكثون، لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون.

* يا كميل، نحن والله الحق الّذي، قال الله عز وجل «ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السّموات والأرض ومن فيهمن».

* يا كميل، ثمّ ينادون الله تقدست أسماؤه بعد أن يمكثوا أحقاباً، اجعلنا على الرّخاء فيجيبهم أخسئوا فيها ولا تكلمون.

* يا كميل، فعندها يئسوا من الكرة واشتدت بهم الحسرة، وأيقنوا بالهلكة، والمكث جزاء بما كسبوا عذبوا.

* يا كميل، أنا أحمد الله على توفيقه إياي والمؤمنين على كلّ حال.

* يا كميل، ما من حظي بدنيا زائلة مدبرة فانية، وإنّما حظي من حظي بآخرة باقية ثابتة.

* يا كميل، كل يصير إلى الآخرة، والّذي يرغب فيه منها ثواب الله عزّ وجل والدّرجات العلى من الجنة الّتي لا يورثها إلا من كان تقياً.

* يا كميل، إن شئت فقم.

أقول، وقد اختصر هذه الوصية، الشّيخ الجليل الثّقة أبو محمّد الحسن بن علي بن شعبة رحمه الله في كتابه القيم - تحف العقول-.

«علي (عليه السلام) يوصي كميلاً»

ومن بعض وصاياه (عليه السلام) لكميل بن زياد النّخعي: قوله (عليه السلام) يا كميل مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم، ويدلجوا في حاجة من هو نائم[1] فوالّذي وسع سمعه الأصوات، ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا وخلق الله له من ذلك السّرور لطفاً، فإذا نزلت به نائبة جرى إليه[2] كالماء في انحداره حتّى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل.

«كميل ينفى من الكوفة»

ذكر ابن الأثير من جملة الحوادث في سنة ٣٣هـ[3]، أنّ كميل بن زياد وجماعة من جلة الصّحابة وعيون التّابعين نفوا من الكوفة.

والسّبب في ذلك، قال: إنّ جماعة من أشراف أهل الكوفة ووجوهها كانوا يسمرون عند سعيد بن العاص، أمثال مالك بن كعب الأرحبي، والأسود بن يزيد، وعلقمة بن قيس النّخعيان، ومالك الأشتر وغيرهم.

فقال سعيد: ليلة إنّما هذا السّواد بستان قريش، فقال الأشتر: أتزعم أنّ السّواد الّذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك، وتكلم القوم معه، فقال عبد الرّحمن الأسدي: وكان على شرطة سعيد، أتردون على الأمير مقالته، وأغلظ لهم، فقال الأشتر: من ههنا، لا يفوتنكم الرّجل، فوثبوا عليه فوطؤه وطأً شديداً حتّى غشي عليه، ثمّ جروا برجله، فنضح بماء فأفاق، فقال لسعيد: قتلني من انتخبت، فقال: والله لا يسمر عندي أحد أبداً، فجعلوا يجلسون في مجالسهم يشتمون عثمان وسعيداً، واجتمع إليهم النّاس حتّى كثروا فكتب سعيد إلى عثمان في إخراجهم، فكتب إليه أن يلحقوهم بمعاوية، وكتب إلى معاوية، أنّ نفراً قد خلقوا للفتنة فأقم عليهم وأنههم، فإن آنست منهم رشداً فاقبل، وإن أعيوك فأرددهم عليّ، فلما قدموا على معاوية أنزلهم كنيسة مريم وأجرى عليهم ما كان لهم بالعراق بأمر عثمان، وكان يتغدى ويتعشى معهم، وفي بعض الأيّام حادثهم وأغلظ عليهم بالكلام، مع علمه أنّهم بين صحابي وتابعي.

وهددهم فأجابه صعصعة بما يليق وكلامه، ثمّ إنّه أشخصهم إلى حمص وعليها عبد الرّحمن بن خالد بن الوليد، فدعاهم يوماً وصار يشتمهم ويتهجم عليهم، وأسمعهم من كلامه البذيء وفيهم الصّحابي الجليل والشّيخ الكبير، ثمّ صار يمدح نفسه ويزمجر عليهم، ثمّ أمر بردهم إلى معاوية، ولما أن دعاهم معاوية إليه، قال لهم من بعض كلامه: وقد عرفت قريش أنّ أبا سفيان، كان أكرمها وابن أكرمها، إلا ما جعل الله لنبيه (صلى الله عليه وآله) فإنّه انتجبه وأكرمه، وإنّي لأظن أنّ أبا سفيان لو ولد النّاس لم يلد إلا حازماً، فقال صعصعة: كذبت قد ولدهم خير من أبي سفيان، من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له وكان فيهم البر والفاجر والأحمق والكيس، فقال إنّي آمركم الآن إن كنت فعلت فأتوب إلى الله وآمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه، وإن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، فقالوا كلّهم بلهجة واحدة بل أمرت بالفرقة، وخلاف ما جاء به النّبي (صلى الله عليه وآله) فقال: إنّي آمركم الآن إن كنت فعلت فأتوب إلى الله، وآمركم بتقوى الله وطاعته وطاعة نبيه (صلى الله عليه وآله) ولزم الجماعة، وإن توقروا أئمتكم وتدلوهم على أحسن ما قدرتم عليه، فقال صعصعة: فإنّا نأمرك أن تعتزل عملك، فإنّ في المسلمين من هو أحق به منك، من كان أبوه أحسن قدماً في الإسلام من أبيك يعني بذلك أبا طالب (عليه السلام) - وهو أحسن في الإسلام قدماً منك، فقال: والله إنّ لي في الإسلام قدماً ولغيري كان أحسن قدماً مني- يعني بذلك علياً (عليه السلام) - ولكنّه ليس في زماني أحد أقوى على ما أنا فيه مني، ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب، قال: فوثبوا عليه وأخذوا رأسه ولحيته، فقال مه إنّ هذه ليس بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشّام ما صنعتم بي ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتّى يقتلوكم، قال فتركوه، وقام عنهم، فكتب إلى عثمان في أمرهم فأمره عثمان بردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردهم فأطلقوا ألسنتهم فضج سعيد منهم إلى

---

(١) الرّواح السّير من بعد الظّهر، والإدلاج: السّير من أوّل اللّيل.
والمراد من المكارم: المحامد، وكسبها بعمل المعروف، وكأنّه يقول: أوص أهلك أن يوصلوا أعمال الخير، فرواحهم في الإحسان وإدلاجهم في قضاء الحوائج وإن نام عنها أربابها.

(٢) الضّمير في «جرى» للطف، وفي «إليها» للنائبة وغريبة الإبل لا تكون من مال صاحب المرعى فيطردها من بين ماله.

(٣) انظر ابن الأثير الجزري - الكامل-ج٣ ص٥٣.

عثمان، فكتب إليه عثمان أن يسيرهم إلى عبد الرّحمن بن خالد بحمص فسيرهم إليها، فأنزلهم عبد الرّحمن وأجرى عليهم رزقاً، وكانوا الأشتر، وثابت بن قيس الهمداني، وكميل بن زياد، وزيد بن صوحان، وأخاه صعصعة[1]، وجندب بن زهير الغامدي، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمرو بن الحمق الخزاعي[2] وابن الكواء.

قلت: وهؤلاء كلّهم من شيعة علي (عليه السلام) ومن المتفانين دونه.

ولعلّ من جراء هذه الحوادث وهذا النّفي والتّنكيل والضّغط على المسلمين، واستهتار الولاة بكرامة الصّحابة الصّلحاء والتّابعين الأخيار، والأعمال المنافية لأحكام الشّرع المقدس، وقتئذ كان الانقلاب بالمدينة على عثمان حتّى آل الأمر إلى قتله.

(١) بنو صوحان: هم زيد بن صوحان وصعصعة بن صوحان وسيحان بن صوحان من بني عبد القيس، فأمّا زيد فكان من خيار النّاس، وروى في الحديث، أنّ النّبي (صلى الله عليه وآله) قال: زيد الخير الأجذب، وجندب ما جندب، فقيل: يا رسول الله أتذكر رجلين؟ إمّا أحدهما فسبقته يده إلى الجنة بثلاثين عاماً وأمّا الآخر فيضرب ضربة يفصل بها بين الحق والباطل، فكان أحد الرّجلين زيد بن صوحان، شهد يوم جلولاء – وقعة بين المسلمين والفرس– فقطعت يده، وشهد مع علي يوم الجمل، فقال: يا أمير المؤمنين ما أراني إلا مقتولاً، قال: وما عليك بذلك يا أبا سليمان؟ قال: رأيت يدي نزلت من السّماء وهي تستشلني، فقتله عمرو بن يثربي* وقتل أخاه سليمان يوم الجمل، وأمّا الآخر فهو جندب بن زهير الغاضري، ضرب ساحراً كان يلعب بين يدي الوليد بن عقبة فقتله، وكان صعصعة بن صوحان مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم الجمل وكان من أخطب النّاس* قلت ولكلّ من صعصعة وزيد مسجد بالكوفة مشهور باسمه بالقرب من مسجد السّهلة – مسجد سهيل– تقصده النّاس للصّلاة فيه وتلاوة الأدعية والأذكار، لاسيّما ليالي الأربعاء*.

* ويروى عن عبد الرّحمن بن مسعود العبدي، قال: سمعت عليّاً (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) من سره أن ينظر إلى من سبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان.

* انظر ابن قتيبة، المعارف ص١٧٦ المطبعة الإسلامية، مصر.

* انظر كتاب «الوصول إلى معرفة من دفن بالعراق من أصحاب الرّسول» للمؤلف مخطوط.

(٢) عمرو بن الحمق الخزاعي رحمه الله، قال الذّهبي في – تاريخ الإسلام– بايع النّبي (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع، وقال أبو نعيم في – حليته– هاجر عمرو إلى النّبي (صلى الله عليه وآله) بعد الحديبية وقد صحب النّبي (صلى الله عليه وآله) وحفظ عنه أحاديث وسكن الكوفة، وانتقل إلى مصر، وبعدها ا نتقل إلى الكوفة يروى أنّه سقى النّبي يوماً، فقال (صلى الله عليه وآله): اللّهم متعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة لا ترى في لحيته شعرة بيضاء، وكان من شيعة علي وشهد مشاهده كلّها، الجمل، وصفين، والنّهروان، طارده معاوية بن أبي سفيان، حتّى ظفروا بن بالموصل قتلوه وقطعوا رأسه وحملوه على الرّمح من الموصل إلى الشّام ومن الشّام إلى الكوفة، رضوان الله عليه*.

* انظر الوصول إلى معرفة من دفن بالعراق من أصحاب الرّسول مخطوط للمؤلف.

«وقعة دير الجماجم»

كان السّبب في وقعة دير الجماجم[3] على ما ذكر المؤرخون، هو أنّ الحجاج سار من البصرة إلى الكوفة، لقتال عبد الرّحمن بن محمّد بن الأشعث، وكان عبد الرّحمن حينئذ قد خرج من الكوفة بأصحابه ونزل دير الجماجم، وقد اجتمع إليه أهل الكوفة وأهل البصرة والقراء من المصرين وكذلك أهل الثّغور والمسالح، وهم مائة ألف ممن يأخذ العطاء ومعم مثلهم، وأقبل الحجاج حتّى نزل قبالهم، وجاءه عدد من الشّام، وخندق كلّ منهما على نفسه، فكان النّاس يقتتلون كلّ يوم.

ولا يزال أحدهما يدني خندقه من الآخر، وأهل العراق يأتيهم موادهم من الكوفة وسوادها، وهم في خصب وأهل الشّام صارت فيهم مجاعة وضنك شديد، قد غلت عليهم الأسعار، وفقد عندهم اللّحم، كأنّهم في حصار شديد، وهم على ذلك يغادرون الحرب والقتال ويراوحون، فلّما كان اليوم الّذي قتل فيه جبلة بن زحر بن قيس، وكانت كتيبته تدعى القراء تحمل عليهم فلا يبرحون، وكانوا قد عرفوا بذلك وفيهم سعيد بن جبير، وكميل بن زياد وكان رجلاً ركيناً[4] فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون وعبّأ الحجاج صفوفه، وعبّأ عبد الرّحمن أصحابه، وعبّأ الحجاج لكتيبة القراء ثلاث كتائب، وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكمي فأقبلوا نحوهم فحملوا على القراء ثلاث حملات كلّ كتيبة تحمل حملة فلم يبرحوا وصبروا، وكانت مدّة الحرب مائة يوم وثلاثة أيّام لأنّه كان نزولهم بالجماجم لثلاث مضت من ربيع الأوّل، وكانت الهزيمة لأربع عشرة مضت من جمادى الأخرى فلما كان يوم الهزيمة اقتتلوا أشد قتال، وصعد عبد الرّحمن المنبر ينادي النّاس: إلى عباد الله فاجتمع إليه جماعة فثبت حتّى دنا منه أهل الشّام، فقاتل من معه ودخل أهل الشّام العسكر، فأتاه عبد الله بن يزيد بن المفضل الأزدي، فقال له: انزل فإنّي أخاف عليك أن تؤسر ولعلّك إن انصرفت، أن تجمع لهم جمعاً يهلكهم الله، فنزل هو ومن معه وفيهم كميل بن زياد النّخعي. لا يلوون على شيء ثمّ رجع الحجاج إلى الكوفة، وأخذ الحجاج يبايع للنّاس، وكان لا يبايع أحداً إلا قال له: أشهد أنّك قد كفرت، فإن قال نعم، بايعه وإلا قتله، ثمّ دعا بكميل بن زياد، وكان في قومه: ولما أوقف بين يديه، قال له: أنت المقتص من أمير المؤمنين عثمان، قد كنت أحب إلي من أن أ جد عليك سبيلاً، إلى آخر ما سنذكره عند مقتله رحمه الله.

(٣) دير الجماجم ذكره ياقوت في ج٤ ص١٣١.

(٤) هكذا ذكر ابن الأثير في تاريخه –الكامل– ج٤.

«عمره الشّريف»

قال العسقلاني في تهذيب التّهذيب[1] قلت وحكى ابن أبي خيمة أنّه سمع يحيى بن معين يقول: مات كميل سنة ثمان وثمانين وهو ابن سبعين سنة.

وقال المدايني: مات كميل سنة اثنتين وثمانين وهو ابن تسعين سنة[2]، قلت ولعلّ قول المدائني ابن تسعين تحريف من النّساخ وإنّما هو ابن سبعين كما عليه أكثر المؤرخين.

«مقتله»

قال هشام بن عمار حدثنا أيوب بن حسان حدثنا محمّد بن عبد الرّحمن، قال: منع الحجاج النّخع أعطياتهم حتّى يأتوه بكميل بن زياد، فلمّا رأى ذلك كميل أقبل على قومه، قال: أبلغوني الحجاج فأبلغوه، فقال الحجاج: يا أهل الشّام هذا كميل الّذي قال لعثمان أقدني من نفسك، فقال كميل: فعرف حقي، فقلت: أما إذا أقدتني فهو لك هبة فمن كان أحسن قولاً أنا أو هو؟ قال: فذكر الحجاج عليّاً فصلّى عليه كميل، فقال الحجاج: والله لأبعثن إليك إنساناً أشد بغضاً لعلّي من حبك له، فبعث إليه ابن أدهم الحمصي فضرب عنقه[3].

قال ابن الأثير[4] ثمّ دعا بكميل بن زياد، فقال له: أنت المقتص من أمير المؤمنين عثمان؟ قد كنت أحب إلي من أن أجد عليك سبيلاً، قال كميل: على أينا أنت أشد غضباً عليه حين أفاد من نفسه أم علي حسين عفوت عنه، ثمّ قال أيّها الرّجل من ثقيف لا تصرف علي أنيابك ولا تكشر علي كالذّئب والله ما بقي من عمري إلا ظمء الحمار[5] اقض ما أنت قاض فإنّ الموعد الله وبعد القتل الحساب، قال الحجاج: فإنّ الحجة عليك، قال: ذنبك إذا كان القضاء إليك فأمر به فقتل، وكان خصيصاً بأمير المؤمنين (عليه السلام).

قال ابن حجر في الإصابة[6] واخرج ابن أبي الدّنيا من طريق الأعمش، قال: دخل الهيثم بن الأسود على الحجاج، فقال له: ما فعل كميل بن زياد؟ قال: شيخ كبير في البيت، قال: فأين هو، قال: ذاك شيخ كبير خرف فدعاه، فقال له أنت صاحب عثمان، قال ما صنعت بعثمان؟ قال لطمني فطلبت القصاص فأقادني فعفوت، قال: فأمر الحجاج بقتله، وقال جرير عن المغيرة، طلب الحجاج كميل بن زياد فهرب منه فحرم قومه عطاءهم، فلما رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير قد نفد عمري لا ينبغي أن أحرم قومي عطاءهم فخرج إلى الحجاج فلما رآه. قال له: لقد أحببت أن أجد عليك جميلاً، فقال له: كميل إنّه ما بقي من عمري إلا القليل، فاقض ما أنت قاض فإنّ الموعد الله، وقد أخبرني أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنّك قاتلي، قال بلى قد كنت فيمن قتل عمر أضربوا عنقه فضربت عنقه.

وذكر ابن كثير في البداية والنّهاية[7] – كميل بن زياد– قتله الحجاج في هذه السّنة – أي سنة ٨٢هـ– صبراً بين يديه، وإنّما نقم عليه لأنّه طلب من عثمان بن عفان القصاص من لطمة لطمها إياه، فلما أمكنه عثمان من نفسه عفا عنه، فقال له الحجاج: أو مثلك يسأل من أمير المؤمنين القصاص؟ ثمّ أمر فضربت عنقه، قالوا: وذكر الحجاج: والله لأبعثن إليك من يبغض علياً أكثر مما تحبه أنت، فأرسل إليه ابن أدهم، وكان من أهل حمص، ويقال أبا جهنم بن كنانة فضرب عنقه.

«توضيح»

قوله رحمه الله: «لا تصرف عليّ أنيابك ولا تهدم علي»

التّصريف صوت ناب البعير، وتهدم عليه غضباً توعده، «كواهل الغبار» أوايله، شبه رحمه الله عمره في سرعة انقضائه بالغبار، وبقيته بأوايله، فإنّ مقدم الغبار يحدث بعد مؤخره ويسكن بعده، أو شبه بقية العمر في سرعة انقضائه بأوّل ما يحدث من الغبار فإنّه يسكن قبل ما يحدث آخراً والأوّل أبلغ وأكمل.

«قبره الشّريف»

ذكر السّيد البراقي في تاريخ الكوفة[8] بعد ذكره لترجمة كميل بن زياد النّخعي، قال: وقبره عند الثوية معروف يزار ويتبرك به.

وذكر السّيد في روضاته[9] قال ثمّ إنّ قبر كميل علي ما ظفروا به في هذه الأواخر وجعلوا له لوحاً ومزاراً وبنوا عليه بنياناً وشعاراً واقع بين مسجد الكوفة والنّجف الأشرف على يمين الخارج من الكوفة إليه.

وقال المصعبي المعلق على خطط الكوفة – لويس ماشيون– وقبر كميل معروف بالكوفة ويزار.

وذكر العلامة القمّي رضي الله عنه في تحفة الزّائرين، قال ما ملخصه: إنّ بالقرب من مسجد الحنانة شرقاً تل صغير، يقال: هو الثّوية، وقديماً محل معروف فيه بئر ماء، وفيه دفن جمع من التّابعين من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أمثال كميل بن زياد النّخعي وقبره ظاهر معروف، والباقون لا أثر

(١) تهذيب التّهذيب ج٨ ص٤٤٨.
(٢) انظر الذّهبي – تاريخ الإسلام ج٣ ص٢٩٣.
(٣) انظر الذّهبي شمس الدّين محمّد بن أحمد تاريخ الإسلام ج٣ ص٢٩٣.
(٤) انظر الكامل لابن الأثير ج٣ ص١٨٥.
(٥) ونظير هذا في البحار للمجلسي، جلد ٩ ص٦٣٦.
(٦) انظر ابن حجر الإصابة ج٣ ص٣١٨.
(٧) انظر إسماعيل بن كثير الدّمشقي – البداية والنّهاية ج٩ ص٤٦.
(٨) انظر البراقي – تاريخ الكوفة ص٣٢٠ الطّبعة الأولى.
(٩) انظر روضات الجنات ص٥٣٧.

لقبورهم، وظني أنّ هناك قبر رشيد الهجري الّذي هو في المرتبة أرفع من كميل، وهناك قبر الأحنف بن قيس المشهور بالحلم، وربما هناك قبر زياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة، انتهى ما ذكره القمّي عليه الرّحمة، قلت والثّوية لا تقتصر على التّل وحده ولكنّ التّل جزء من الثّوية كما سنذكره.

"الثّوية"

الثّوية موضع معروف، ومن المواضع المشهورة في ظهر الكوفة غربيها وللنجف اليوم أقرب منها إلى مسجد الكوفة.

أورد ذكرها المؤرخون في كتبهم، وذكرها اللّغويون في معاجمهم وجاء ذكرها في أشعار الشّعراء.

ذكر الطّريحي في معجمه، في مادة ثوى، قال: والثّوية بضم الثّاء وفتح الواو وتشديد الياء، ويقال بفتح الثّاء – وهو الأشهر- وكسر الواو، موضع بالكوفة، به قبر أبي موسى الأشعري والمغيرة بن شعبة.

قال صاحب المعجم – ياقوت الحموي[1] الثّوية بالفتح، ثمّ الكسر وياء مشددة ويقال الثّوية بلفظ التّصغير، موضع قريب من الكوفة وقيل بالكوفة، وقيل خربية إلى جانب الحيرة على ساعة منها[2]، ذكر العلماء أنّها كانت سجناً للنّعمان بن المنذر، كان يحبس بها من أراد قتله فكان يقال لمن حبس بها ثوي، أي أقام، فسميت الثّوية بذلك، وقال أبو حيان دفن المغيرة بن شعبة بالكوفة بموضع يقال له الثّوية، وهناك دفن أبو موسى الأشعري في سنة خمسين، وقال عقال يذكر الثّوية:

سقياً عقالاً بالثّويّة شربة

فمال بلب الكاهلي عقال

وذكر الجزري في نهايته[3] الثّوية بضم الثّاء وفتح الواو وتشديد الياء، ويقال بفتح الثّاء وكسر الواو، موضع بالكوفة به قبر أبي موسى الأشعري والمغيرة بن شعبة.

وفي تاريخ الخميس، قال: أبو موسى الأشعري مات سنة ٤٤ هـ وقيل سنة ٥٢هـ دفن بمكة وقيل دفن بالثّوية على ميلين من الكوفة.

وذكر ابن طاووس في مصباحه الثّوية، قال: هي الآن تل بقرب الحنانة عن يسار الطّريق للقاصد من الكوفة إلى المشهد – يعني بذلك- مشهد أمير المؤمنين، قلت وقد حول الطّريق في عهد الحكومة العثمانية وصار التّل عن يمين القاصد من الكوفة إلى النّجف، وذلك عند تأسيس السّكة الحديدية – التّرامواي- وحتّى اليوم على حاله وقد ألغيت السّكة وعبد الطّريق بالقار بمكان السّكة الحديدية.

وفي الثّوية قبور بعض الأعلام لاسيّما من خواص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أمثال، خباب بن الأرت[4] وجويرية بن مسهر العبدي[5] والأحنف بن قيس التّميمي وقد شهد مع علي صفين[6] وسهل بن حنيف الأنصاري شهد بدراً والمشاهد والمشاهد كلّها مع النّبي (صلى الله عليه وآله)[7] وعبد الله بن أبي أوفى بايع بيعة الرّضوان وشهد خيبر وما بعدها من المشاهد ولم يزل بالمدينة حتّى قبض رسول الله ثمّ تحول إلى الكوفة، وهو آخر من بقي بالكوفة من الصّحابة، توفي بالكوفة[8] وعبد الله بن يقطر رضيع الحسين (عليه السلام) ورسوله إلى أهل الكوفة[9]، وعبيد الله بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين (عليه السلام) فهؤلاء من بعض خواص أمير المؤمنين، الّذين دفنوا بالثّوية، ولا أثر لقبورهم اليوم، اللّهم إلا قبر كميل بن زياد النّخعي، ماثل كالعلم، وفي غربيه مسجد الحنانة، وكان في فضاء واسع غير أنّ الحكومة الحالية خططت هناك قطعاً من الأرض وكادت البنايات والدّور أن تصل إلى مسجد الحنانة وكادت الثّوية أن تكون طرفاً من أطراف النّجف اليوم، وممن ذكر الثّوية في شعره أحمد بن الحسين الكوفي المشهور بالمتنبي، قال:

وليلاً توسدنا الثّوية تحته — كأنّ ثراها عنبر في المرافق

بلاد إذا زار الحسان بغيرها — حصى تربها تقبنه للمخانق

ولأعشى همدان يذكر الثّوية أيضاً:

ألم خيال منك يا أمّ غالب — فحييت منا من حبيب مجانب

فوجهه نحو الثّوية سائراً — إلى ابن زياد في الجموع الكتائب

وقال الحميري يذكر الثّوية:

أتعرف رسماً بالثّويين قد دثر — عفته أهاضيب السّحائب والمطر

وجرت به الأذيال ريحان خلفه — صبا ودبور بالعشيات والبكر

(١) معجم البلدان – ج٣ ص٧٨ الطّبعة الأولى.

(٢) هذا قول شاذ، وإنّما هي قرب الغريين، والكوفة أقرب من الحيرة.

(٣) انظر ابن الأثير النّهاية ج١ ص١٦٥.

(٤) خباب بن الأرت توفي بالكوفة سنة ٣٩، قال صاحب الاستيعاب أنّه كان من فضلاء المهاجرين الأولين شهد بدراً وما بعدها من المشاهد إلى أن نزل الكوفة، ومات بها بعد أن شهد مع علي صفين والنّهروان وصلّى عليه علي (عليه السلام)، قلت وقبره بالثّوية دارس.

(٥) جويرية، قتله زياد بن أبيه، في أيّام ولايته بالكوفة، فقع يده ورجله، ثمّ صلبه بالكوفة، قتل وقبره دارس.

(٦) الأحنف بن قيس توفي بالكوفة سنة ٦٧، قلت وقبره دارس.

(٧) سهل بن حنيف الأنصاري شقيق عثمان بن حنيف الأنصاري كلاهما ولّيا الأمر لعلي سهل على المدينة وعثمان على البصرة، توفي سهل بالكوفة سنة ٣٨ هـ وصلّى عليه علي (عليه السلام) وكبر عليه خمساً وقبره دارس.

(٨) عبد الله بن أوفى توفي بالكوفة سنة ٨٦ هـ وكان قد كف بصره، وقبره دارس.

(٩) قبض عليه عبيد الله بن زياد، وأمر به فرمي من أعلى القصر إلى الأرض فتكسرت عظامه، وذبحه بعد ذلك عمرو الأزدي، وقبره دارس.

ولعدي بن زيد يذكر الثّوية قوله:

ويح أمّ دار حللنا بها ... بين الثّوية والرّدمة

بريّة غرست بالسّواد ... كغرز المصبغة في الهزمة

«صفة قبره»

إنّ قبر كميل بن زياد معروف بالثّوية ماثل أمام المارة بين الكوفة والنّجف، وللنجف أقرب من الكوفة، وقد شيدت عليه قبة من الآجر مجصصة، وقد عبثت بها الأعاصير والأمطار فضعضعتها ومضت ببهجتها، ومن تحتها حجرة مربعة، وفي وسط الحجرة قبر كميل، وهو دكة مربعة بنيت من القاشاني الأخضر تلوح عليها آثار القدم، أرض حضرته -الغرفة- أيضاً مرصفة بالقاشاني الأخضر، ووجدت هناك صخرة بيضاء قد رقمت عليها أبيات من الشّعر الفارسي، كما شاهدت على جدار الحضرة لوحة بإطار من الخشب أيضاً كتبت فيها قصيدة من الشّعر الفارسي، وهناك صخرة أخرى بيضاء كتبت عليها زيارة كميل، وهاك نص ما قرأته على تلك الصّخرة:

هذه الزّيارة ألفها بعض السّادة من أهل الملة والدّين في زيارة كميل بن زياد رضي الله عنه.

«زيارة كميل»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

السّلام على محمّد خاتم النّبيين، السّلام على علي أمير المؤمنين، السّلام على فاطمة الزّهراء سيدة نساء العالمين، السّلام على خديجة الكبرى أمّ المؤمنين، السّلام على الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين، السّلام على سائر أئمّة المسلمين، علي ومحمّد وجعفر وموسى وعلي ومحمّد وعلي والحسن والخلف الهادي المهدي منجز وعد المؤمنين، السّلام على ملائكة الله المقربين وعباده الصّالحين، السّلام على العبد الصّالح والولي النّاصح العالم التّقي المدفون بأرض الغري كميل بن زياد النّخعي اليماني، السّلام على من أكمله الكامل في الصّفات في الغزوات، وأودعه السّر وعلمه دعاء الخضر، وأخبره عن النّفس والحقيقة، فصار فيها ذو بصيرة، أشهد أنّك قد اهتديت إلى الحق والسّداد وجريت في منهاج الصّدق والرّشاد وأعرضت عن الباطل والعناد، السّلام على أحد حواري حبل الله المتين، والفائز بصحبة سيد الوصيين وصحبه الأبرار علي أمير المؤمنين خيرة عترة سيد الصّادقين، لعن الله قاتلك الطّاغي الشّقي الحجاج بن يوسف الثّقفي ألا لعنة الله عليه من الآن إلى يوم الدّين.

«سدانة قبره»

كان مرقد كميل بن زياد على ما ظهر لي متروكاً برهة من الزّمن لا يصل إليه أحد في العهد العثماني المظلم، متروكاً لبعده عن بلدة النّجف ولتنحيه عن الجادة على الأكثر، ولم يكن من النّاس من يتعهده إلا النّادر من طلبة العلم وبعض الزّائرين من الإيرانيين والبهرة- الإسماعيلية- يقصدونه في بعض المواسم للزيارة، حتّى قيض الله له المغفور له الشّيخ باقر الشّيخ عبد النّبي الدّروبي فكان مدة حياته يتعهد المرقد ومسجد الحنانة بالخدمة والضّياء، لا سيّما ليالي الجمع وأيّام الجمع والأعياد، طالباً بذلك وجه الله، وقد واظب هو وولده الشّيخ محمّد على خدمة المسجد وقبر كميل، فكان الشّيخ باقر سادناً للمرقد والمسجد موقفاً نفسه بغلق الباب ليلاً وفتحها نهاراً للزائرين، وورث سدانة القبر والمسجد من بعده نجله الأكبر الشّيخ محمّد وهو حتّى اليوم يقوم بما يجب عليه من الخدمة، وفقه الله إلى خدمة الدّين وجزاؤه على حامل سر أمير المؤمنين (عليه السلام) كميل بن زياد النّخعي عليه الرّحمة والرّضوان.

«التّخطيط الجديد»

وأخيراً ينتهي بي المطاف فأواجه سيادة السّيد محمّد علي كمونة -رئيس بلدية النّجف اليوم- وأطلب منه الوقوف على التّخطيط الجديد الّذي جرى بدوره في الآونة الأخيرة «لحي السّعد الجديد» والّذي ينتهي إلى مرقد كميل بن زياد رحمه الله، فأوعز حفظه الله بإحضار الخرائط والملفات فأحضرت، وشاهدت التّخطيط والمساحة الّتي تركت لمرقد كميل وهي مدروة الشّكل ومساحتها ما يقارب الأحد عشر ألف متر مربع تفضي إليها عدة شوارع، وأخبرني أنّ سيادته مصمم على أن ينشئ حوالي المرقد حديقة عامة.

ولا غرو من ابن النّجف البار، إذا قام بهذا العمل الجبار، فإنّه فرع الدّوحة العلوية -آل كمونة- الّذين كرسوا حياتهم في خدمة الحرم الحيدري خاصة والنّجف الأشرف عامة، والأمل من وجهاء النّجف اليوم، من العلماء والرّوحانيين والخطباء والأعيان والتّجار والكسبة بل وكلّ من تظلله القبة المنورة قبة سيد الوصيين، وبطل المسلمين أمير المؤمنين (عليه السلام) بأن يشحذوا هممهم، ويثيروا عزائمهم ويتعاونوا جميعاً وأن يكونوا يداً واحدة في تشييد الصّحن والمرقد لكميل وتجديد قبته الماثلة للانهدام.

فإنّه باب أمير المؤمنين (عليه السلام) وصاحبه وحامل سره، ووالية على هيت وصاحب الدّعاء المشهور والمنسوب إليه -دعاء كميل- وما ذلك على أبناء النّجف الغيارى بعزيز، وإنّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.